الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة-

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

المكان والحرية في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق "لـــ" عبد الرحمن منيف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

– صبرينة رحماني

إشراف الدكتور:

–جمال مباركي

السنة الجامعية:1436هـ/1437هـ

2015م/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على إتمام هذه المذكرة فله الثناء في الأول والآخر.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والاحترام إلى الأستاذ الدكتور "جمال مباركي" الذي مد لنا يد العون، فكان مرشداً ومصححاً ومشرفاً، ولم يبخل علينا من زاده المعرفي من خلال توجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً لنا في إتمام هذا البحث.

وأشكر كذلك الأساتذة المناقشين على تصويب أخطائي.

وإلى جميع أساتذة كلية الآداب واللغات لشعبة الأدب العربي.

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، فلكل هؤلاء جزيل الشكر والعرفان والتقدير.

مقدمة

الرواية جِنساً من الأجناس الأدبية التي حظيت باهتمامات كثيرة فأصبحت ديوان الحياة اليوم، لما اكتسبته من أهمية كبيرة في عصرنا الحديث، كونها استطاعت فرض وجودها على باقي الفنون السردية الأخرى، فحملت على كاهلها قضايا ومشكلات الإنسان.

فغدت الرواية وسيلة يتخذها كثيرٌ من الكُتَّابْ في عصرنا الحديث للتعبير عن رؤاهم ووجهات نظرهم حول البيئة والمجتمع معتمدين على بعض مُشَكِلاتها " كالزمان "و" الشخصية"، "والأحداث"...إلى غير ذلك، متخذين من عناصر الرواية مفاتيح لذلك، ومن بين هاته المُشَكِلات نجد بنية المكان الذي احتل منزلة مهمة خلافاً ما كان عليه سالفاً في العصر الحديث، إذ نجد الدراسات قليلة بشأنه، ولا يتناول إلا في ظل دراسة الزمن أو الشخصية أو الأحداث ...إلى غير ذلك من بنيات الرواية التي أخذت موقع الصدارة على حسابه.

غير أن الدراسات النقدية الحديثة التفتت إليه بالدراسة فنجد كثيراً من الكُتَّاب العرب وكذا الغرب يؤلفون كتباً و مجلات بخصوصه، لأننا في حقيقة الأمر لا نستطيع دراسة أي عنصر من عناصر الرواية دون المرور عليه والولوج فيه، لأن عناصر الرواية ذات ارتباط وثيق بالمكان، ولأهميته أصبح يتناول في المقاربات لأنه يكشف لنا عن عديد من الأشياء، فيكشف لنا عن وجهة نظر المؤلف لبيئته ومجتمعه، فيغدو دالاً مشبعاً بالمدلولات التي يرمي المؤلف إيصالها إلى ذهن متلقيه ومن هذا المنطلق تجاوز مفهومه التقليدي بوصفه ديكوراً أو خشبة لمسرح الأحداث فقط أي شيء جامد نتجاوزه دون الالتفات إليه.

فالمكان أصبح معبراً عن العديد من الموضوعات، وهذا ما جعله يكتسب أهمية كبيرة في الأدب العربي الحديث، فقد جعل منه بعض الكُتَّاب مطية لكشف رؤاهم والتعبير

عن معانتهم وحالتهم بصب همومهم عليه، وأدى ذلك إلى تلوين نصوصهم بسحناء رمادية يصعب فقه ما وراءها إلا بعد الغور في ثنايا مؤلفاتهم، ولذلك نجد نفراً من الكُتَّاب وخصوصاً للفن الروائي يستعينون بالمكان لشحن أحزانهم، فكان المكان ومازال خير معبرٍ عن ذلك.

ومن بين هاته الموضوعات التي شغلت ولازالت تشغل حيزاً كبيراً وعبر عنها كثير من الكُتَّاب انطلاقاً من توظيفهم للمكان نجد تيمة الحرية، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه في هذا الوجود وجعل من وجوده في هذه الأرض حكمةً وغاية، وهي عبادته وخلافته في الأرض وأن يكون خير معمر فيها، وذلك بطاعة الله وبالتقوى والأعمال الصالحة، وهذه الأهداف لا يستطيع الإنسان بلوغها ما لم يكن حراً لاختيار ما فيه منفعة ودرء ما فيه مفسدة له ولغيره.

فالحرية هي غريزة في الإنسان ومفطور على حبها ويسعى لتحقيقها ،لأنها تحقق ذاتيته وسعادته وكرامته ، ونجد الحرية مقترنة كثيراً بالمكان، إذ منه يستطيع الإنسان ممارسة حرياته، وبالتالي فهما مفهومان مترابطان متلازمان، وعدا المكان والحرية من أوسع المباحث التي اهتم بها الباحثون في الدراسات البحثية خاصة أن تيمة الحرية قد تناولتها الرواية العربية عموماً وروايات "منيف " بالخصوص، فكان موضوعنا موسوماً " بالمكان والحرية في رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف" و هذا ما جعلنا نخوض في الرواية ونطرق باباً من أبوابها.

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع دوافع ذاتية تمثلت في حبنا وميلنا للمدونة لقراءتها والغوص في مواضيعها وأساليبها، أما الدوافع الموضوعية فهي الكشف عن المكان والحرية، وكيف ارتبطت هذه الأخيرة بالمكان فكانت العلاقة بينهما وثيقة.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات هل المكان عنصر أساسي في الأعمال الأدبية؟ وهل نجده بنية مساهمة بحق في الأعمال الروائية خاصة؟ وهل كانت الانطلاقة الرئيسية لاكتشاف هذه البنية للعرب أم للغرب؟ وماهي تقسيماته هل كانت واحدة أم تنوعت؟ ويا ترى الحرية ذات ماهية واحدة أم تعددت مفاهيمها؟ وماهي الأماكن التي سيطرت على عموم المدونة هل هي المكان الأليف أم المعادي؟ وماهي رؤية "عبد الرحمن منيف" انطلاقاً من هاته الفضاءات؟ وقد ساعدنا للإجابة عن هاته التساؤلات ألية الوصف لملائمته لهذه الدراسة، معتمدين على خطة مقسمة إلى فصلين، فكان الفصل الأول مخصصاً للجانب النظري ومعنوناً بالمكان والحرية (دراسة في المفهوم والأنواع) وكان مقسمًا إلى عنصرين ففي العنصر الأول تطرقنا إلى المكان والحرية (المفهوم) واندرج تحته تعريف كل من المكان والحرية في اللغة والاصطلاح ،أما العنصر الثاني من هذا الفصل فخصصناه للمكان الروائي وأنواعه ، والذي اندرج تحته المكان الروائي عند الغرب وعند العرب ، وكل جزء حوى مجموعة من الباحثين الغرب وكذا العرب.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد جعلناه فصلاً تطبيقياً فكان بعنوان فضاءات الحرية واللاحرية في رواية "الأشجار و اغتيال مرزوق" ، وقد تضمن عنصرين ، العنصر الأول موسوماً بأنواع الأمكنة في الرواية و الذي خصصناه لاستخراج الأمكنة في الرواية والذي تراوح بين ثنائيتين المكان الأليف والمكان المعادي فحوي مجموعة من الأمكنة التي جعلناها عناوين جانبية ، أما العنصر الثاني من هذا الفصل فكان بعنوان المكان والحرية في الرواية ، والذي بدوره قسمناه إلى جزئيين، فكان الجزء الأول تحت عنوان فضاء الانا واللاحرية والذي تضمن ثلاثة عناصر فضاء السلطة واللاحرية، فضاء القمع ومصادرة الرأي ، وفضاء الحلم والتخيل، أما بالنسية للجزء الثاني من هذا العنصر فكان موسوماً بفضاء الآخر والحرية والذي اندرج تحته عنصرين فضاء العدل والحرية وفضاء

الآخر وحرية الرأي ، وقد ختمنا بحثنا بخاتمة خلصنا فيها إلى مجموعة من النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة البحثية.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع كان لها الفضل في إثراء البحث وفك وتذليل صعوباته، نذكر منها كتاب جماليات المكان " لغاستون باشلار" وكتاب النور والعتمة إشكالية الحرية في الأدب العربي " لعلي القاسمي" وكتاب بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" لحميد لحميداني" وكتاب أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف " لمرشد أحمد "، وكأي باحث اعترضتنا صعوبات وهي وفرة المادة العلمية و غزارتها وخصوصاً بشأن المكان الروائي التي لم نستطع الإلمام بها كلها لكثرتها، في حين ندرة الدراسات بخصوص الحرية في الرواية ،إلا أن هذه الصعوبات لم تكن بالصعوبات الكبيرة التي تمنعنا من إتمامه .

وفي الأخير لا يسعنا سوى أن نحمد الله عز وجل ونشكره على توفيقه لنا في إنجاز هذه المذكرة، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل "جمال مباركي" على نصائحه وتوجيهاته القيمة التي ساعدتنا كثيراً على تجاوز الصعوبات لإنجاز هذا العمل، ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه خير إنه الموفق ومنه نستمد العون والتوفيق.

الفصل الأول: المكان والحرية (دراسة في المفهوم والأنواع)

أولاً: المكان والحرية (المفهوم)

1- تعريف المكان

أ-لغة

ب-اصطلاحا

2- تعريف الحرية

أ-لغة

ب-اصطلاحا

ثانياً: المكان الروائي وأنواعه

1- عند الغرب

أ-غاستون باشلار

ب-أبراهام مول واليزابيث رومر

ج-يوري لوتمان

د-فلاديمير بروب

هـ-برادلي

2- عند العرب

أ-غالب هلسا

ب-حميد حميداني

ج-ياسين النصير

د-حسن بحراوي

هـ-عبد المالك مرتاض

و-سيزا قاسم

ز-شجاع العاني

أولاً: المكان والحرية (المفهوم)

يعد المكان والحرية عنصرين أساسيين في الوجود الإنساني، فالسؤال عن المكان في حقيقة الأمر هو سؤال عن الواقع، والوجود الإنساني لأن هذا الأخير لا يتحقق إلا بوجود مكان لاحتوائه، والحرية هي أهم معنى في هذا الوجود، وبها يستطيع الإنسان بلوغ غايته التي يطمح إليها، لذلك تطرق لهما النقاد والأدباء بكثير من الإسهاب للوصول إلى مكنوناتهم، وجوهرهم وفيما يلي عرض لمفهوم المكان وكذلك عرض لمفهوم الحرية.

1/مفهوم المكان:

أ-لغة:

جاء في لسان العرب "لابن منظور" « اَلْمَكَانُ المَوضِعُ، و الجمع أَمْكِنةٌ كَقَذَال و أَقْذِلَةٍ وأَمَاكِنُ جمع الجمع، قال ثعلب: يُبْطُل أن يكون مَكانٌ فَاعلاً لأن العرب تقول: كُنْ مَكَانكَ، وقُمْ مكانكَ، وَاقْعُدْ مَقْعَدَك» [1]

ويقول: كذلك «المَكانُ والمَكانةُ واحدة (...) لكَيْنونةِ الشيء فيه» . [2]

ويعرفه "الزبيدي" « المَكانُ المَوضِعُ الحَاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين أنه عَرْضٌ وهو اجتماعُ جسمين حاوٍ ومحوىّ، وذلك ككون الجسم الحَاوي محيطاً بالمحوىّ، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين » .[3]

ويقول: "بطرس البستاني" في " محيط المحيط" « المكان هو المَوضِع أو هو مَفْعَل من الكَوْن والجمع أَمكِنةٌ وأَمَاكِنُ وأَمْكُن ويقال: هذا مكان هذا أي بَدله وكان من العلم والعقل بمكان أي رتبةٍ ومنزلة» .[4]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج 13، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1994 م، ص414.

(2) المصدر نفسه، صفحة نفسها.

(3) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح على شبري، مج 18، باب النون (أ . ي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، بيروت، لبنان، 1994 م، ص 544.

(4) بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون ساحة رياض الصلح د ط، بيروت، لبنان، 1998، ص 859.

نجد أن جل المعاجم توافقت مع بعضها في التعريف اللغوي للمكان على أنه الموضع والمنزلة، ويذهب "باديس فوغالي" في تعريفه للمكان بقوله: «فالمكان اسم مشتق يدل على ذاته، أي ينطوي معناه على إشارة دلالية ممتلئة تحيل إلى شيء محجم ماثل ومحدد له أبعاد ومواصفات، ولفظة "المكان" مصدر لفعل الكينونة والكينونة هي الخلق الموجود، والماثل للعيان الذي يمكن تحسسه وتلمسه».[1]

ب-اصطلاحاً:

للإنسان علاقة وطيدة بالمكان، فلا يمكن للعقل البشري أن يتصور لحظةً لحظات من الوجود الإنساني خارج سياق المكان، فمنذ لحظة وجوده الأولى في الحياة يكون المكان محيطاً به، ومحتويه من كل جانب، حتى ساعة رحيله من هذا الوجود يكون القبر مكاناً أخيراً لهذا الوجود البشري، فهذا الأخير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان.

و بما أنه على هذا القدر من الارتباط و الأهمية بحياتنا، استعاره الكُتابْ في كتاباتهم والشعراء في أشعارهم ، و النقاد في مقارباتهم، و حاولوا الوقوف على مكنوناته لفك شفراته ،غير أن هذا المصطلح تقاطع مع مصطلحات أخرى و استعملت بنفس استعماله كالفضاء-مثلا-الذي نجده عند كثير من الباحثين ينظر إليه على أنه المكان وهذا الخطأ الذي ينبه له "حسن نجمي" حيث يقول: « بل الأفضل أن نكتفي بتشغيل الفضاء علي امتداد الدراسة ، و نذكر المكان إلا حيث ينبغي أن يذكر»[2] أي يجب التمييز بين الفضاء ، و المكان فهذا الأخير جزء من الفضاء.

لذلك أشار في موضع أخر في كتابه الموسوم " بشعرية الفضاء المتخيّل والهوية في الرواية العربية" «إلى أن المكان قد شوهت ترجمات عربية عدة خصوصياته ومميزاته عن الفضاء، ومن بين هذه الدراسات التي أشار إليها هي ترجمة الروائي العربي الكبير

(1) باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن 2008م، ص 169.

(2) حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2000م، ص 42.

"غالب هلسا"، لكتاب "غاستون بشلار" المعنون " بشعرية الفضاء" المكتوب بالفرنسية إلى العربية بعنوان " جماليات المكان"».[1]

فالمكان و الفضاء على حد تعبير "حسن نجمي" شيئان منفصلان غير أن الفضاء في حاجة ماسة للمكان، فالفضاء في الرواية « ليس في العمق إلا مجموعة من العلائق القائمة بين الأمكنة »[2] ؛ أي أن الفضاء ما هو إلا مجموعة من الأمكنة المتعالقة مع بعضها البعض لتؤسس هذا الفضاء ، و هناك من اعتبرهما شيئين مكملين لبعضهما على حد تعبير" أرسطو"، حيث « يعتبر التمييز بين المكان والفضاء(...) أمراً حاسماً نظرياً، و لكنه ملتبس عند التطبيق، ففيما يعتبر المكان الحدود الحافة بالمحتوىّ يعد الفضاء الحدود الداخلية للوعاء المحتوي ».[3]

أي أن الفضاء كما قلنا سالفاً هو الكل، بينما المكان هو الجزء، غير أننا على حسب طرح " أرسطو" يمكننا التمييز بينهما نظرياً، غير أننا تطبيقياً يبقى أمراً ملتبساً ويصعب الفصل بينهما فهما شيئان متداخلان متكاملان.

ويذهب الناقد " حميد لحميداني" إلى اعتبار «الفضاء في الرواية أوسع وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي»[4]،"فحميد لحميداني" فرق بين المكان والفضاء باعتبار هذا الأخير أشمل من المكان فالفضاء إذن يحتوي المكان.

ونجد اجتهادات كثيرة حول هذا الأساس منها محاولات «بعض النقاد الغربيين المعاصرين التفرقة بين مستويات مختلفة من المكان، فنجد في الإنجليزية (place/ Space) ، (la cation) وبالفرنسية (Espace)،(Lieu)، أما بالنسبة للعربية

(1) ينظر، حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 42.

(2) المرجع نفسه، ص 44.

(3) جوزيف.إ. كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، تر لحسن احمامة، أفريقيا الشرق، د ط، بيروت، لبنان، 2003م ص19.

(4) حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1991م، ص 64.

فنجد المكان / الفراغ / الموقع »[1]، و هذه المفردات التي تداخلت و تقاطعت مع المكان سواء في اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو العربية.

في حين «اكتفى النقاد الكلاسيكيون في اللغات الثلاث باستخدام كلمة (lieu/place) للدلالة على كل أنواع المكان، حيث لم يكن معنى الفراغ بمفهومه الحديث قد نشأ بعد» [2]، فالنقاد الكلاسيكيون لم يفرقوا بين أنواع المكان، وأطلقوا على كل أنواعه تسمية المكان؛ أي أنهم لم يفرقوا بين الفراغ، والمكان، والحيز، والفضاء...، إلى غير ذلك من المصطلحات التي تتداخل مع مصطلح المكان.

فالمكان عنصر من العناصر المشكلة لبنية الفضاء الروائي «باعتباره بنية معمارية متجسدة بواسطة اللغة، التي تتفنن في رسم عوالم مكانية مختلفة» [3]؛ أي أن المكان عنصر جوهري ومن العناصر الأساسية المؤسسة لبنية الفضاء الروائي، إضافة إلى عناصر أخرى كالزمان، والشخصيات، والاحداث...، إلى غير ذلك.

غير أن المكان في الفن الروائي يتشكل انطلاقاً من لغة، ومن خلال علاقات لغوية التي تتضافر مع بعضها البعض، لتشكل صورة بصرية في ذهن المتلقي، فيغدوا المكان «أيقون بصري في مخيلة القارئ» [4]، فالمكان هو تخيل في ذهن المتلقي سواء إن تطابقت الصورة مع الواقع الخارجي، أو لم تتطابق.

غير أن هذه الأمكنة الموظفة من قبل المؤلف، تزخر بكثير من الدلالات والأبعاد ليست مجرد تشكيل لأيقون بصري فحسب، بل تكشف لنا حتى عن نظرة المؤلف سواء لبيئته أو لمجتمعه.

---

(1) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب د ط، د ب، 1984م، ص 75.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) نصيرة زوزو، بناء المكان المفتوح في رواية "طوق الياسمين" لواسيني الأعرج، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والآداب الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد8، 2012م، ص21.

(4) ينظر، فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية" دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف" دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2009م، ص 112.

فالمكان في الفن الروائي قد يعكس لنا «صورة الواقع الاجتماعي والحضاري للبيئة ولكل ما تضمه من ظروف، وأحوال متغيرة، وزمان، ووقائع وثقافة، وقيم» [1]، لأنه يعكس لنا وجهة نظر المؤلف انطلاقاً من طريقة توظيفه له في كتاباته، لكنه ليس هو المكان الواقعي الذي نعيشه، حتى وإن تطابقاَ في التسمية والأوصاف.

«إن المكان في النص هو مكان مجازي يفترضه المؤلف ويؤسس من خلاله العلاقات الظاهرية والباطنية للأبطال» [2]؛ أي أن المؤلف يقوم بتوظيفه لمجموعة من الأمكنة، غير أنها تبقى أمكنة متخيلة، ومجازية على الرغم من التشابه في بعض الأحيان بينها وبين المكان الواقعي، كما قد تكون غير مطابقة له في أحيان أخرى وتغدوا مجرد إبداعات وتخيلات من قبل المؤلف، ليشاركها مع القارئ.

وهذا ما يستدعي قول: "جيرار جينت" (Gérard Gent) «المكان ينقلنا عبر الخيال إلى نائي الأصقاع ومجهولها فيخيل إلينا لبرهة من الوقت، أننا نجتازها أو نقيم بها» [3]، فالمكان الموظف من طرف المؤلف سواء في الشعر كان أو في الرواية، ينقل قارئه إلى أراضي وجبال وسهول...، بواسطة الخيال وكأننا سافرنا إليها وأقمنا بها.

غير أن الدراسات الواقعية «قد رأت في المكان " شيئاً " يتحدد وجوده في إطار الواقع بعين المواصفات الخارجية التي تمتلكها الأشياء» [4]، فالمكان في الدراسات الواقعية اعتبرته شيء، وهذا الشيء يُضبط وجوده انطلاقاً من الواقع فالأشياء التي لا تمتلك نفس المواصفات الخارجية لا تغدوا أن تكون أمكنة؛ أي اشترطت التطابق بين المكان والواقع.

---

(1) حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن 2010م، ص 198، 199.

(2) منصور نعمان نجم الدليمي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن 1999م، ص 105.

(3) جينت، كولدنستين وآخرون، الفضاء الروائي، تر عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، د ط، بيروت، لبنان، 2002م ص 12.

(4) حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي " قراءة موضوعاتية جمالية دراسة "، ديوان المطبوعات الجامعية د ط، الجزائر، 2011م، ص 129.

«كما أن الدرس النفساني، اعتبره (...)" تمثيلي" و" تصور" وكأن المسألة عند هؤلاء تفترق عن الشيّء العقل، ذي المادة الصلبة إلى لون من التصور الذي يحدث على مستوى النفس». [1]

ويحدد المكان في الدرس النفساني على أنه شيء متصور؛ أي ذهبت خلاف ما ذهبت إليه الدراسات الواقعية، «وجعلته تصور يحدث على مستوى النفس وهذا التصور من خلال المكان يمثل جملة من المشاعر، والأحاسيس التي قد يثيرها المكان فينا» [2]، فمن خلال المكان تستثار فينا جملة من المشاعر والأحاسيس، سواء بنزولنا في ذلك المكان، أو تذكرنا له.

نجد المكان قد لاق اهتماماً خصوصاً في مجموعة من الأبحاث التي تطرقت له كمجهودات "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) في كتابه "جماليات المكان" ويوري لوتمان (Yuri Autaman) ...، وإلى غير ذلك من الباحثين الغربيين.

(1) حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي " قراءة موضوعاتية جمالية دراسة"، ص 129.

(2) ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2/ مفهوم الحرية:

أ-لغة:

جاء في لسان العرب "لابن منظور" «الحُرُّ بالضم نقيض العَبد، والجمع أَحْرَارٌ وحِرارٌ، والحُرَّة نقيض الأَمة والجمع حَرائِرُ(...) والحُرُّ من الناس أَخْيَارُهُمْ وأَفاضلهُمْ وحُرِيَّةُ العرب أشرافهم.

وقال ذو الرمة:

فَصَارَ حَيّاً، وَطَبَّقَ بَعدَ خوفٍ عَلى حُرِيَةِ العَرَبِ الهُزالى.

أي أشرافهم(...) وحرية قومه أي من خالصهم، والحُرُّ من كل شيء أَعْتَقُه». (1)

كما أورد "الزمخشري" «الحرية تحت الجذر حَرَرَ: حَرّ يومنا يَحُرّ ويَحَرّ ويحِرّ وحَرُرْتَ وحَرَرْتَ، ويقول أرض حُرّةٌ لا سبخة فيها، وطين حُرٌّ لا رمل فيه ورملة حُرّةٌ طيبة النبات، ونزل في حُرّ الدار أي في وسطها(...) وحرر الكتاب حسنه وخلصه بإقامة حروفه(...) وحرية قوم أي من أشرافهم وما في حرية العرب والعجم مثله». (2)

ويقول: "عبد القادر الرازي" «الحرُّ ضد العبد وحُرُّ الوجه ما بدا من الوجنة (...) والحُرَّةُ الكريمة، والحرةُ ضد الأمة والجمع حَرَائر(...) وحَرَّ العبد حَرَاراً بالفتح أي عتق، وحَرَّ الرجل يَحَرُّ حُرِّيّةٌ بالضم من حُرَّيَّة الأصل وحَرَّا الرجل يَحَرُّ حَرَّةً بالفتح عَطش (...)، وتَحْريرُ الرقبة عتقها، وتحرير الولد تفرده لطاعة الله وخدمة المسجد». (3)

«والحرية جمع حُرِّيَّات(...) وهي حالة شخص لا يكون تابعاً لأحد خلوص من العبودية، كذلك هي حالة من ليس مقيداً أو محتجزاً كحال السجين مثلا فالحرية

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج 04، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1990م، ص 181،182.

(2) ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، ج1، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م، ص 179،180.

(3) الرازي، مختار الصحاح، تح أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، د ط، بيروت، لبنان، 2004م، ص 74.

إذن هي حق المرء في العيش حرًّا من دون ضغط، أو إكراه أو قهر، وممارسة حرياته كاملة كحرية الفكر والرأي والمعتقد». (1)

ب-اصطلاحاً:

يعتبر موضوع الحرية من أهم المواضيع التي لاقت اهتماماً ملحوظاً قديماً وحديثاً، فتطرق لها الأدباء في كتاباتهم وكذا الشعراء في أشعارهم وأضحت غاية من الغايات المنشودة التي يطمح لها كل فرد على السواء.

«فالحرية هي حالة يكون فيها الإنسان قادراً على مزاولة إرادته في الفعل أو عدم الفعل من دون ضغوط خارجية (جسدية) أو داخلية (نفسية) تحد من تلك الإرادة» (2) فالحرية هنا تأكيد للإرادة؛ أي لتحقيق هذه الغاية يجب توفر الإرادة في القيام بالفعل أو عدم القيام به.

كما نجد الباحثة " حورية يونس الخطيب" تأكد كذلك على هذا الشرط حيث تعتبر «الحرية هي قدرة الإنسان على اختيار أفعاله (...) بحيث إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل أو تساوي الإمكان في الفعل أو عدم الفعل». (3)

فالحرية لتحققها يجب أن يكون الإنسان قادراً على اختيار أفعاله في القيام بفعل ما أو عدم القيام به «فالإنسان الحر هو إنسان يملك كل معاني الإرادة(*)، وأبعادها ودلالاتها إذ نجد الإرادة قوة تجد طريقها إلى التحقق على أرض الواقع، من خلال استعمال الإنسان لها بالشكل الصحيح». (4)

---

(1) ينظر، صبحي حمودي، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان، 2003م ص 219.

(2) علي القاسمي، النور والعتمة إشكالية الحرية في الأدب العربي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، الدر البيضاء المغرب، 2009م، ص 10،11.

(3) حورية يونس الخطيب، الإسلام ومفهوم الحرية، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1، ليماسول، قبرص، 1993م ص8.

(4) المرجع نفسه، ص 16.

(*) الإرادة هي العزيمة والمشيئة والتصميم على القيام بفعل ما، على الرغم من العوائق والمصاعب التي تعترض القائم بهذا العمل، لذلك الإنسان الحر لابد له أن يتمتع بهذه الإرادة.

نجد في هذه التعاريف أن الحرية ها هنا، هي تأكيد للإرادة في الاختيار بشكل مستقل على أي ضغوط، والشخص الحر في هذه الحالة هو شخص يتعامل مع محيطه الخارجي انطلاقاً من إرادته هو، لا لضغوط خارجية تجبره على القيام بذلك الفعل أو تركه.

كما نجد "زكي نجيب محفوظ " يقابل مفهوم الحرية بالالتزام إذ يقول : « الحرية هي التزام نراها في كل كائن أيا كان نوعه ، فالفرد الواحد من أفراد الإنسان–مثلا– تجده مؤلفاً من مجموعة أعضاء و لكل عضو فيها تكوينه ، ووظيفته ، و قوانينه ، فالقلب يعمل من حيث هو قلب و الكبد تعمل من حيث هي كبد(...) و هذا الذي قلناه عن الفرد الواحد من أفراد الإنسان ، يصدقُ بحذافيره على الكون العظيم في مجموعه (...) لكن المعجزة الكبرى هي أن لكل جزء حريته التي هي نفسها مجموع الحريات المتمثلة في الذرات الصغيرة التي منها يتألف ». (1)

فالحرية هنا هي التزام بين كل جزء من أجزاء هذا العالم، بكل ما يحتويه وكُله الذي منه يتألف؛ أي أن " زكي نجيب محفوظ" أشار للحرية على أنها معجزة إلهية خَصّ الله سبحانه وتعالى بها كل الكائنات الحية، وفي المقابل هذه الحرية لا تتنافى مع التزامها في أداء وظائفها أي مع الاتساق العام لها.

كما أن هناك من جعل الحرية اعتراف بالحقوق الأساسية للفرد «واعتبرت الحرية والمساواة معاً هما أعمدة أي نظام سياسي ناجح، إلا أن الحرية هي الأساس وينبغي أن يكون لها دائما الأسبقية، وليس المقصود بالحرية هنا فقط أشكال الحكم الديمقراطي وسيادة القانون بل أيضا الاعتراف بحقوق الأساسية للفرد التي لا يمكن المساس بها ولو بموافقة الأغلبية». (2)

انطلاقاً من هذه الفكرة، فالحرية هي إذن الاعتراف بالحقوق الأساسية للفرد وهي حقوق طبيعية يجب أن يتمتع بها كل شخص، فالله سبحانه وتعالى أودع هذه الحقوق في البشر، فلا يحق لأي كان المساس بها، كما قد نادي بعض الأدباء

(1) زكي نجيب محفوظ، عن الحرية أتحدث، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1989م، ص 17.

(2) حازم الببلاوي، في الحرية والمساواة، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1985م، ص 81.

والشعراء " بالحرية" خصوصاً الذين عانوا ويلات الاستعمار رافعين شعار الحرية ومطالبين بها من أجل التحرر والاستقلال.

فالحرية إذن تقاطعت مع مفهوم الاستقلال، والتحرر الذاتي وأضحت مطلباً من مطالب الدول المُستَعْمَرة من أجل التحرر، فكانت الحرية ها هنا هي التحرر والانعتاق من قيود الاستعمار فأصبحت الحرية هي الاستقلال، والحرية بهذا الطرح تصبح ذات «مفهوم سياسي، أي التحرر من الاستعمار(...) واسترداد الهوية الوطنية بكل ما تحمله من مقومات». (1)

الحرية إذن هي غاية من الغايات المنشودة، التي يطمح الإنسان لتحقيقها فلولا الحرية لما استطاع الإنسان العيّش والمضي قدماً.

كما أصبحت تعني الحرية الشخصية، وأخذ الحقوق التي اتفقت عليها العهود والمواثيق الدولية، لذلك نجد بعض الأدباء والروائيون خصوصاً يعبرون عن هذه الغاية أي الحرية، انطلاقاً من توظيفهم لبعض الأمكنة، فيغدوا المكان معبراً عنها.

وبما أن المكان على هذا القدر من الأهمية وذلك من خلال تعبيره على عدة مدلولات يرمي الكاتب إيصالها، إلى ذهن المتلقي تطرقت له الدراسات الغربية وكذا الأبحاث العربية بالدراسة وسنتطرق إلى أهم الباحثين الغرب وكذا العرب في هذا المجال وكيف كانت تقسيماتهم له.

(1) عبد الله ركيبي، الشعر في زمن الحرية (دراسات أدبية ونقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر 1994 م، ص 75.

ثـانياً: المكان الروائي وأنواعه:

يعد المكان بنية من البنيات المساهمة في بناء الحكي بشكل خاص قصةً أكانت أم رواية، إذ أن المكان مكون من المكونات الأساسية والجوهرية في بلورة العمل الروائي أو القصصي، أو لنقل مشكل من المشكلات الأساسية خصوصًا في الرواية، فالمكان يساهم في الفن الروائي مثله مثل الزمان والشخصيات، غير أن هاذين الأخيرين حظي بالاهتمام من قبل الباحثين وكان لهما الأولوية في أي دراسة، على غرار المكان الذي كان معزولا فترة طويلة، من الدراسات، ولم يحظ بالاهتمام إلا حديثاً.

لأن «الدراسات المتعلقة بالفضاء لم تنبثق إلا حديثاً، و لا تزال إلى اليوم لم تتخمر و تكتنز لتأسيس نظرية تامة، حيث كانت شذرات متفرقة على عدد من الجهود الهامشية التي يصعب تجميعها منهجياً لصالح نظرية أساسية للفضاء، على غرار نظرية الشخصية " لفليب هامون" (Flyb Hamun)، و نظرية الزمن " لجيرار جنيت " (Genethe Gérard) »[1].

فالمكان لم يحظ بالدراسة إلا حديثاً، على غرار الزمن والشخصية التي أُسس لها نظريات مستقلة، ودرست بكثير من الإسهاب من قبل الباحثين الغربيين، كنظرية "الزمن" " لجيرار جينيت"، و «تتمثل هذه الأهمية في التمييز الذي أقامه بين السرد أو (الحكاية) والخطاب وهذا في سياق التمييز الذي أقامه بين أزمنة الفعل (...) حيث فرق بين مستويين هما: زمن الحكاية (Histiore) وزمن الخطاب(Dixours)». [2]

خاصة ونحن نعلم انه لا يمكن دراسة الزمن في غياب المكان لذلك أوجدوا نحتاً لكلمتين الزمان والمكان وهي «الزمكانية»[*].

---

(1) بولعسل كمال، سيميائية في رحلة أبي حامد الغرناطي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، شعبة السرد العربي القديم تحت إشراف الدكتور يوسف وغليسي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، 2006 م، ص1.

(2) عمر عيلان، في منهاج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2008 م ص 123.

(*) الزمكانية هي تداخل الزمان مع المكان واستحالة الفصل بينهما.

غير أن " جيرار جينيت " انطلاقاً من عنصر الزمن فرق بين الخطاب، والحكاية وذلك للأهمية التي اكتسبها هذا العنصر من قبل هؤلاء الدارسين، وكذلك الشخصية التي لاقت نفس الاهتمام مثل الزمان أما المكان فلم يحظ بالاهتمام إلا حديثاً.

غير أن "أرسطو" قد أشار في كتابه " فن الشعر" إلى أهمية "المشهد" بحيث اعتبره جزءاً من أجزاء تراجيديا الستة حيث يقول: «فإن في كل تراجيديا –كوحدة كلية–ستة أجزاء، هي التي تحدد صيغتها الخاصة وقيمتها النوعية والأجزاء هي: الحبكة، الشخصية، اللغة، الفكر، المرئيات المسرحية، الغناء». (1)

"فأرسطو" اعتبر المرئيات عنصر من العناصر الستة الأساسية المكونة لتراجيديا «فالمكان–في رأي أرسطو–شرط أساسي في تكوين العمل الفني كما أنه يفقد مدلول الأول العادي باعتباره إطار للحدث الفني، ليحيل لمدلول جديد أراده المؤلف وتساهم في بناءه الشخصيات الروائية». (2)

ومن هذا الطرح فالمكان مكون أساسي يساهم في بلورة العمل الفني، ولا يصبح إطاراً للحدث فحسب، بل يعكس نظرة المؤلف لبيئته ومجتمعه، وتعمل الشخصيات على تجسيد تلك النظرة «فتكون الأبطال في الرواية نتيجة للبناء الروائي» (3) الذي أراده المؤلف.

فالمكان في الرواية بمثابة المسرح الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتفاعل معه وتمارس نشاطاتها عليه، ومن هذا المنظور أضحى للمكان أهمية بالغة في الخطاب الأدبي عامة والخطاب الروائي خاصة، باعتباره مكوناً أساسياً من مكونات العمل الروائي، فتطرق له الباحثون الغربيون والعرب، غير أن الدراسات الغربية كانت سبَّاقة في دراسة المكان.

---

(1) ارسطو، فن الشعر، تر إبراهيم حماره، مكتبة الانجلو المصرية، د ط، مصر، 2002 م، ص 96.

(2) أمال منصور، بنية الخطاب الروائي في أدب محمد جبريل، جدل الواقع والذات " النظر إلى أسفل" نموذجاً دار الإسلام للطباعة والنشر، د ط، القاهرة، مصر،2006 م، ص45.

(3) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن–السرد–التبئير)، المركز الثقافي العربي لطباعة والنشر والتوزيع ط3، الدار البيضاء، المغرب، 1997 م، ص 29.

غير أن «أول من اهتم بدراسة المكان هم الفرنسيون، ذلك في عهد الستينيات والسبعينيات، وأبرز هؤلاء (جورج بولي، وجليبر دوران، ورولان برونوف» [1] فالفرنسيون هم الأوائل في الدراسات الغربية لدراسة المكان في فترة الستينيات والسبعينيات غير أن هذه الفترة متأخرة مقارنة بالفترة التي درس فيها الزمان والشخصيات.

ولعل أهم عمل في مجال التنظير للفضاء الروائي كان كتاب " غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) "شعرية الفضاء" الذي قام بترجمته " غالب هلسا" إلى العربية تحت عنوان" جماليات المكان"، فقد استفاد من هذا الكتاب الباحثون الغربيون والعرب.

1/ عند الغرب:

أ_ " غاستون باشلار" (Gaston Bachelard):

يؤكد "غاستون باشلار" على عنصر المكانية إذ اعتبر المكان العمود الفقري الذي يضمن النجاح والتميز للعمل الأدبي فيقول: «العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته». [2]

ومن هذا الطرح فالمكان مكون أساسي من مكونات العمل الأدبي وذلك من خلال الرونق، والأثر الذي يضفيه على أي عمل، فالمكان يمنح للأعمال الأدبية الجمالية شعراً، أو نثراً.

«لذلك يعد المكان السردي متخيلاً، أي معبراً عنه بألفاظ وصيغ وحالات ورؤى وصور خيالية» [3]؛ أي أن المكان في الرواية هو مكان متخيل يتشكل في ذهن المتلقي كصورة بصرية وذلك من خلال اللغة، فيضفي المكان على النص الروائي الجمالية انطلاقاً من تخيلات القارئ لهذه الأمكنة.

---

(1) كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح"، الأثر مجلة الآداب واللغات جامعة ورقلة، الجزائر، العدد 4، 2005 م، ص 140.

(2) غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط2، بيروت، لبنان، 1984 م، ص 5،6.

(3) محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنبيل سليمان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2012 م، ص 196.

ويقسم " غاستون باشلار" المكان إلى قسمين:

«1.**المكان الأليف:** هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل في خيالنا.

2.**المكان العادي:** هو مكان الكراهية والصراع». [1]

فالنوع الأول ؛أي المكان الأليف حسب – رأي غاستون باشلار– هو البيت الذي نحس فيه بالراحة ،و الطمأنينة ،و الحماية والذي تربطنا به علاقة حميمية ، و يرى "باشلار" أن « البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة ، و مركز تكييف الخيال و عندما نبتعد عنه نظل دائما نستذكره »[2]، و من خلال هذا الطرح يعتبر " باشلار" البيت هو مكان الألفة الذي يوفر الحماية و الأمن و يظل الإنسان مرتبط بهذا المكان فكل ما يبتعد عنه يظل يستذكره و يشده الشوق و الحنين إليه ، لأنه ذا علاقة وطيدة مع هذا المكان لأن كل مناطق الألفة موسومة بالجاذبية تظل تشد الإنسان إليها.

أما النوع الثاني؛ أي المكان المعادي فهو الذي نحس اتجاهه بالكراهية والعداء وكذا النفور، غير أن " غاستون باشلار" لم يتحدث كثيراً عن هذا النوع من الأمكنة في حين أسهب كثيراً في حديثه عن المكان الأليف، وعن أمكنة الألفة، فالأمكنة المعادية هي التي تحمل تجارب الإنسان المؤلمة تجاه ذاك المكان «فتجعل كيان الشخصية يهتز ويستشعر الرهبة والرعب». [3]

(1) غاستون باشلار، جماليات المكان، ص6،31.

(2) المرجع نفسه، ص 9.

(3) مسعد بن عبد العطوي، السرد فكراً وبناءاً، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2014 م ص 65.

ب _ " أبراهام-أ-مول وإليزابيث رومر" (Elizabeth (Abraham-A-Mall) : Romer)

قدم الباحثيّن «"أبراهام -أ-مول" و"إليزابيث رومر" تقسيمات للمكان انطلاقاً من حرية المرء فيها:

1. «**عندي**»: وهو المكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل السلطة.

2. «**عند الآخرين**»: شبيه بالأول في أنه يمنح الإنسان شيئاً من الألفة والحميمية ومختلف عنه في كون الإنسان يشعر فيه بأنه خاضع لسلطة الغير.

3. «**الأماكن العامة**»: وهي أماكن تخضع للسلطة العامة، نشعر فيها بالحرية ولكنها حرية محدودة.

4. «**المكان اللامتناهي**»: وهو المكان الذي نستطيع أن نمثل له بالصحراء حيث لا يكون هذا المكان ملكاً لأحد، كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه»[1] ومن هذا التقسيم "فأبراهام" "و إليزابيث"، قسموا المكان انطلاقاً من حرية الفرد، فللأمكنة علاقة وطيدة بالحرية و من خلالها يستطيع الإنسان أن يكون حراً كما قد يكون مقيداً كالسجين مثلاً، و تعني الحرية عند "لالاند" « بالمعنى العام لها هي حالة الكائن الذي لا يعاني إكراهاً والذي يتصرف طبقاً لمشيئته ، و لطبيعته ».[2]

ومن خلال تقسيم هذين الباحثين للمكان، نجد أن النوع الأول يتقابل مع البيت الذي يملك فيه المرء كل السلطة، إضافة إلى ذلك أنه مكان يمنح الحماية والأمن.

---

(1) فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، الانتشار العربي للنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2008 م، ص 19.

(2) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج01(G.A)، تر خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت لبنان، 2001 م، ص 727.

أما النوع الثاني فهي الأماكن الخاصة التي تكون خاضعة لسلطة الآخرين والنوع الثالث هي "الأماكن العامة كالشوارع، والمقاهي، والمساجد... إلى غير ذلك من الأماكن المشاعة لجميع الناس لكنها خاضعة لسلطة العامة (الدولة).

أما بالنسبة لنوع الرابع " المكان اللامتناهي" فهو المكان الذي لا يخضع لأي سلطة كالصحراء والجبال، والوديان... إلى غير ذلك من الأماكن المشاعة للجميع وغير خاضعة لسلطة أحد، إذ لم تصادرها سلطة ما.

وينطلق "أبراهام" "وإليزابيث" في تقسيمهما للمكان من «فكرة مؤداها أن الإنسان هو مركز العالم، وأن المكان يحيط به من جميع جوانبه في شكل قواقع متتالية» [1] فالمكان يحتوي الإنسان ويحيط به من كل جانب، فمنذ لحظة وجوده الأولى في هذا الكون يكون المكان حاضنه الأول حتى ساعة رحيله من هذا الوجود يكون ـ القبر ـ مكاناً أخيراً لهذا الوجود.

ج _ " يوري لوتمان "(Yuri Autaman)

نجد الناقد السوفيتي" يوري لوتمان" الذي ساهم كثيراً في بلورة مفهوم المكان و أعطي له بعداً آخر، إذ يعتبر «المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات ، أو الوظائف ، أو الأشكال المتغيرة...الخ) و تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة /العادية (مثل الاتصال المسافة .....الخ) »[2].

فالمكان حسب رأي " لوتمان"، هو مجموعة من الأشياء المتماثلة فيما بينها سواء أكانت ظواهر أو حالات، أو وظائف، أو أشكال، ويفرق " لوتمان" في موضع أخر بين إدراك الإنسان للمكان، وإدراكه للزمان «فبينما يدرك الزمان إدراكاً غير مباشر

(1) فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ص 19.

(2) سيزا قاسم، يوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، ط2، الدار البيضاء، المغرب 1988م، ص 69.

من خلال فعله في الأشياء فإن المكان يدركه إدراكاً مباشراً، يبدأ بخبرة الإنسان لجسده هذا الجسد هو "مكان"». [1]

فالإنسان منذ لحظة وجوده الأولى، في هذا الكون يكون في مواجهة مباشرة مع المكان، لأنه يحيط به من كل جانب، فيدركه إدراكا مباشراً من خلال حواسه.

أما تقسيمات " يوري لوتمان" للمكان فهي عبارة عن ثنائيات ضدية.

«1.عالي/ منخفض.

2.يسار/يمين.

3.قريب / بعيد.

4.مفتوح / مغلق». [2]

فمن خلال هذه التقسيمات نجد أن " يوري لوتمان" قسم المكان إلى مجموعة من الثنائيات المتضادة فيما بينها، وتكون هذه الثنائيات في النص الروائي أكثر وضوحاً غير أن هذه التقسيمات تنوعت واختلفت من باحث لآخر.

د_ " فلاديمير بروب" (Vladimir Propp):

«يتناول فلاديمير بروب المكان في دراسته للحكاية الشعبية، ويظل خاضعاً عنده للوظائف ويقسمه إلى ثلاثة أنواع وفقاً لحركة البطل، واستناداً للوظائف التي تقوده وهي:

1.المكان الأصل: ويمثل مسقط رأس البطل.

2.المكان الذي يسافر إليه البطل لإنجاز مهمته.

3.المكان الذي يتجسد فيه إنجاز هذه المهمة». [3]

---

(1) سيزا قاسم، يوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان، ص 59.

(2) المرجع نفسه، ص 65.

(3) فوزية لعيوس غازي الجابري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن 2011 م، ص 238، 239.

" فلاديمير بروب" قسم المكان انطلاقاً من وظيفة البطل، وذلك من خلال مقابلته لكل نمط من أنماط المكان، بحركة البطل في الحكاية الشعبية.

ومن خلال تقسيمات " فلاديمير بروب " للمكان نجده يهتم بوظيفة البطل أكثر من اهتمامه بعنصر المكان، إذ يجعله عنصراً ثانوياً تعمل الوظيفة على تحديده باعتبارها «تسمح للبطل بالظهور على مسرح القصة» [1]؛ أي أنه يجعل الوظيفة عنصراً أساسياً في إبراز البطل وتوضيحه في القصة، ومن خلال وظيفة البطل تحدد أنماط المكان.

" فلاديمير بروب " يهتم بوظيفة البطل أكثر من اهتمامه بالمكان إذ يجعل منها هي المحدد الأساسي لأنوع المكان، ويعمل البطل على تمثيلها.

هـ _ " برادلي" (Bradley):

يرى برادلي أن المكان «يتألف من أجزاء جامدة (Solid) ممتدة بيد أن هذه الأجزاء لابد أن تكون قابلة للانقسام إلى كثرة مختلفة من الأجزاء، ولطالما أن الأجزاء ممتدة فهي بالضرورة تنقسم وهكذا إلى ما لانهاية (...) فإذا قمنا بتحديد العناصر التي يتألف منها المكان لوجدناه ينقسم إلى علاقات، بل يتلاشى في هذه العلاقات». [2]

ومن هذا الطرح نجد " برادلي" يتطرق للمكان من منظور فيزيائي؛ أي أن المكان عنده مُكوّن من أجزاء، وهذه الأجزاء تجمع بينها علاقات، ولولا هذه العلاقات لما تكوّن المكان.

---

(1) فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع ط1، دمشق، 1996 م، ص 53.

(2) محمد توفيق الضوي، في فلسفة برادلي مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة " دراسة في ميتافيزيقا برادلي"، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية، مصر، 2003م، ص48.

ويقسم "برادلي" المكان إلى:

«**1 . مكان الخاص الواقعي:** وهو مكان المدرك بدائرة الأفق ولا يمكن أن أتخطى حدود هذه الدائرة.

2. المكان الكلي: وهو المكان الذي يصعب إدراكه بطريقة مباشرة، وهذا يعني أن المكان الكلي غير ممكن إدراكه مباشرةً، فكيف لي أن أدرك ما يحدث في البلد المجاور لمدينتي إدراكاً حسياً مباشراً؟ وأنا قائم هنا مكاني الخاص». (1)

(1) محمد توفيق الضوي، في فلسفة برادلي مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة "دراسة في ميتافيزيقا برادلي "، ص 48،49.

ومن خلال قراءتي لبعض المراجع التي درست المكان يمكن تحديد أنواع الأمكنة بالنسبة للغرب في الجدول الآتي:

الباحث	تقسيماته للمكان
أ_ "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard)	**1.** المكان الأليف **2.** المكان المعادي
ب_" أبراهام-أ-مول" (Abraham-A-Mall) **"إليزابيث رومر"** (Elizabeth Romer)	**1.** عندي **2.** عند الآخرين **3.** الأماكن العامة **4.** المكان اللامتناهي
ج_" يوري لوتمان" (Yuri Autaman)	**1.** عالي/ منخفض **2.** يسار/ يمين **3.** قريب/ بعيد **4.** مفتوح/ مغلق
د_" فلاديمير بروب " (Vladimir Propp)	**1.** المكان الأصل **2.** المكان الذي يسافر إليه البطل **3.** المكان الذي يتجسد فيه إنجاز هذه المهمة
هـ_ "برادلي" (Bradley)	**1.**مكان الخاص الواقعي **2.** المكان الكلي

تعددت أنماط المكان، من باحث لآخر كلٌ ووجهة نظره وتقسيماته للمكان وبسبب اختلاف وجهات النظر بين الدارسين والباحثين الغرب اختلفت نظرتهم للمكان، فكل نظر إليه من زاويته الخاصة لذلك تعددت تقسيماته وتنوعت.

وتعد الدراسات الغربية هي السبّاقة في دراسة المكان مقارنةً بالدراسات العربية التي كانت متأخرة نوعاً ما، لأن الغرب انتبهوا للأهمية التي يزخر بها المكان خاصة في الفن الروائي، فالأمكنة في الرواية «ليست حيزاً فيزيقياً أو جغرافياً محايداً بل إنها سلسلة دوال تحيل إلى مدلولات عديدة» [1] أراد المؤلف إيصالها إلى ذهن المتلقي لتعبر عن وجهة نظره، وتحمل في طياتها بعداً تاريخياً، واجتماعيا وحتى سياسياً.

وبما أن المكان على هذا القدر من الأهمية تطرق له الباحثون العرب بالدراسة وكان كتاب "غاستون باشلار" "شعرية الفضاء"، الذي ترجمه " غالب هلسا" "بجماليات المكان" المنطلق الأساسي للعديد من الدراسات العربية وما من مقاربة في هذا المجال إلا واستعانت به، وسنتطرق في العنصر التالي إلى المكان الروائي عند العرب وأقسامه.

(1) هيثم سرحان، الأنظمة السيميائية دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2008 م، ص71.

2/ عند العرب:

للمكان أهمية كبيرة بالنسبة للإنسان، حيث قرأنا وسمعنا أن كثيراً من الأمكنة كان لها سحرها وتأثيرها على قاطنيها، وعمق إيحائها فأضحى المكان ملهماً لكثير من الشعراء والكُتاب فانعكس ذلك على أدبنا العربي، الذي يزخر قديماً كان أو حديثاً على نتاجهم الأدبي شعر أكان أم نثراً بتوظيفه للمكان، أو لأثر المكان في أدبهم فالمكان قد ينعكس على الأدب بالجزالة والفخامة، أو بالرقة والسلالة.

فالمكان عنصر مهم في حياتنا، ففيه نحيا، ونعيش، ونمارس نشاطاتنا فهو يحتوينا من لحظة وجودنا الأولى في هذا الكون، غير أنه على قدر أهميته في حياتنا وإسهاماته في النصوص الأدبية عامةً والنصوص الروائية خاصةً، وذلك من خلال «تأطيره للمادة السردية وتنظيمه لأحداث الرواية بفضل علاقاته التي يقيمها مع العناصر الأخرى كالزمان، والشخصيات». (1)

غير أنه لم يحظ في الدراسات العربية على الكثير من الاهتمام، على غرار "الزمن"، "والشخصية" التي تناولها الباحثون كثيراً وألفوا فيها عديداً من الكتب وتطرقت لها دراسات عديدة.

فالمكان ظل غائباً فترة طويلة من الدراسات، والأبحاث وخصوصاً في عالمنا العربي رغم أنه «يحتل حيزاً كبيراً وهاماً في الرواية العربية، وذلك أنه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في فراغ، دون مكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب بل بوصفه عنصراً حكائياً قائماً بذاته، إلى جانب العناصر الفنية الأخرى المكونة للرواية». (2)

---

(1) ينظر، عبد الرحمن محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك دراسة مقارنة، المكتب الجامعي الحديث د ط، العراق، 2012 م، ص61.

(2) محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، سوريا، دمشق، 1996 م، ص 111.

فالدراسات العربية لم تنتبه لأهميته، على الرغم من كونه عنصر أساسي في أي عمل أدبي سواء أكان ذلك في الشعر، أم الرواية إلا حديثاً، كونه «لم يشع هذا المصطلح في الكتابات العربية القديمة والنقدية التي تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين، لأن النقاد العرب لم ينتبهوا يومئذ إلى هذا المفهوم الذي كان شائعاً في حقيقة الأمر بين النقاد الغربيين». (1)

أي أن الباحثين الغربيين كانوا السّابقين لدراسة هذه البنية بالرغم من أن العرب كانوا يوظفون المكان في كتاباتهم، وأشعارهم، وذلك «منذ زمن المعلقات في زمن الجاهلية، وجاء كُتاب المقامات وحكاة الحكايات، ألف ليلة وليلة، ومقامات الهمذاني (...) فحلقوا كل تحليق في رسم الحيز الذي تضطرب فيه الحكاية والمقامة». (2)

ومن هذا الطرح نجد أن المكان عُرف عند العرب قديماً، وذلك في عصر الجاهلية حيث كان الشعراء يوظفونه في أشعارهم، فكانت فاتحة أشعارهم هي البكاء على الطلل غير أن «الفكر البدائي يعجز عن استخلاص فكرة للمكان من تجربته للمكان (...) فإن المكان بحسب معتقداتهم ينقسم إلى ثلاثة عوالم رئيسية: السماء، والأرض والعالم السفلي» (3) ثم تطورت الأفكار شيئا فشيئا حتى بدأ الاهتمام به، وأصبح ينظر له من زوايا أخرى.

(1) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1998م، ص 122.

(2) المرجع نفسه، ص 130.

(3) حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، العراق، بغداد 1987م، ص 17.

أ_ "غالب هلسا ":

تعد أولى الدراسات التي تطرقت للمكان بالدراسة هي «دراسة " غالب هلسا" للمكان في الرواية العربية (...) التي تناولت المكان باعتباره عنصراً حكائياً مهماً في الرواية» [1] "غالب هلسا" وظف المكان في رواياته، واعتبره عنصراً حكائياً ذا أهمية كبيرة إذ يساهم في بلورة العمل الروائي، وذلك من خلال تضافره مع العناصر الأخرى كالزمان، والشخصيات، والأحداث ...إلى غير ذلك من عناصر المكونة لرواية لتشكيل بنيتها.

كما أن ترجمته لكتاب " غاستون باشلار " "بجماليات المكان" يعد المنطلق الأساسي لكثير من الدراسات العربية في هذا المجال، فما من دراسة أو مقاربة إلا واستعانت به.

كما قد وضع " هلسا" تقسيمات للمكان «فقسم المكان في الرواية العربية إلى أربعة أنماط:

1. **المكان المجازي:** وهو المكان المفترض ذو الوجود الغير المؤكد
2. **المكان الهندسي:** وهو المكان الذي تعرضه الرواية بأبعاده الخارجية ويكون خالياً من المعلومات التفصيلية، ويلتزم فيه الروائي بصفة حياد المهندس
3. **المكان ذو التجربة المعاشة:** وهو المكان الذي عاشه الروائي، وبعد أن ابتعد منه أخذ يعيشه في الخيال
4. **المكان المعادي:** وهو المكان الهندسي المعبر عن الهزيمة واليأس (...) ومثاله السجون، وأمكنة الغربة، والمنافي وغيرها». [2]

(1) محمد عزام، فضاء النص الروائي، (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، ص 111.

(2) شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان 1994 م، ص12،13.

ب _ "حميد لحميداني":

اهتم "حميد لحميداني" بالمكان في دراساته، حيث خصص له فصلاً تحت عنوان " الفضاء الحكائي" في كتابه " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" سنة 1991م.

وقد فرق " حميد لحميداني" بين مصطلحين " الفضاء"(Espace) و "المكان" (Lieu) حيث «يعتبر الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان». [1]

فقد جعل الفضاء أشمل وأوسع، وما المكان في هذا الطرح إلا جزءاً من هذا الفضاء الواسع «ويوضح الاختلاف بواسطة الشكل التالي:

مقاطع وصف الأمكنة

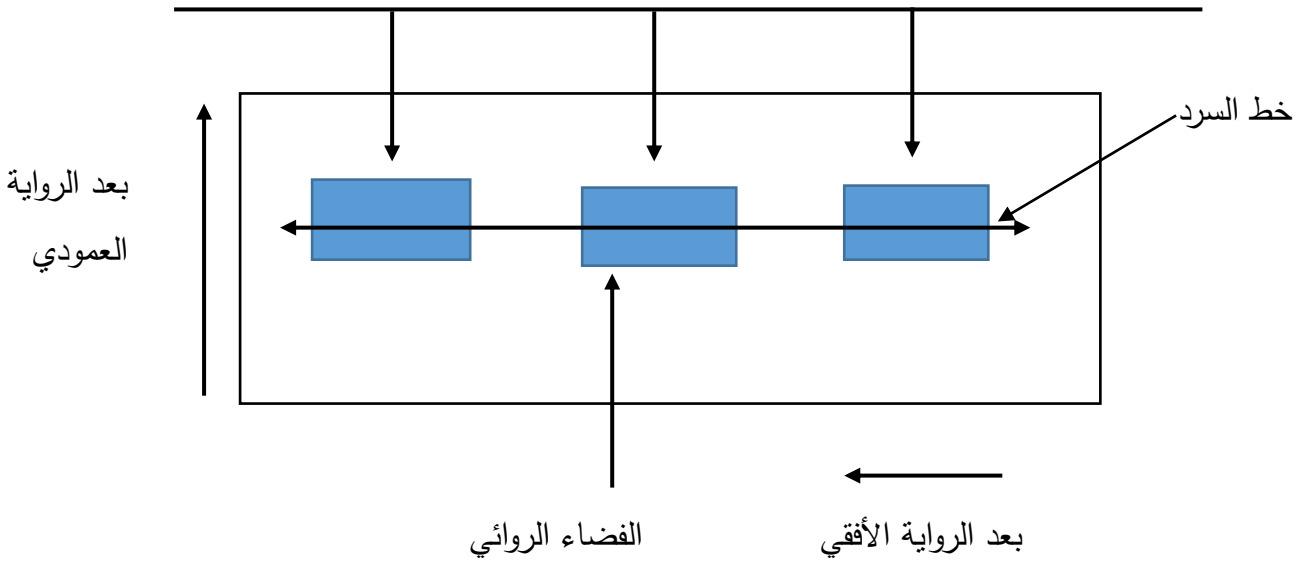

إن الفضاء وفق هذا التخطيط يلف مجموع الرواية بما فيها أحداثها التي تقوم في السرد(...) لأن هذه الأحداث تفرض استمرارية المكان» .[2]

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

(2) المرجع نفسه، ص64.

" فالحميداني" فرق بين "المكان" "والفضاء" غير أننا نجده يستعمل مصطلح الفضاء كونه شمولي وهو محتوي كل الأمكنة، والشخصيات، والأحداث وهو الرابط الأساسي بين مختلف أنساق الرواية، كونها إبحار إلى عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ؛ أي أن «الفضاء سلسلة لا متناهية من الأماكن» [1] فهو عالم وما الأماكن سوى جزر في ذلك العالم الشاسع.

«وكان تقسيم " لحميداني" للفضاء إلى أربعة أنواع:

1. **الفضاء الجغرافي (L'espace georgraphique)**: وهو مقابل لمفهوم المكان ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال.

2. **فضاء النص (L'espace texte)**: وهو فضاء مكاني أيضا غير أنه يتعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكاية، باعتبارها أحرفاً طباعية، على مساحة الورق.

3. **الفضاء الدلالي (Espace semantique)**: ويشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يربط بالدلالة المجازية بشكل عام.

4. **الفضاء كمنظور**: ويشير إلى طريقة التي يستطيع الراوي "الكاتب" بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي، بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح » . [2]

لقد ساهم "حميد الحميداني" كثيراً في مقارباته لمفهوم الفضاء، بحيث استفاد من دراسته كثير من الباحثين، والدارسين في هذا المجال، غير أن تقسيماته للفضاء تبقي تقسيمات نظرية مرتبطة فقط بالرواية ولا تمد للوقع بصلة.

---

(1) حلومة التجاني، البنية السردية في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرآني دار مجدلاوي، ط1، عمان، الأردن ،2013 م، ص 133.

(2) حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 62.

بدأت الأبحاث والدراسات تتطور نتيجة تطور الفكر، فبدأ الوعي بأهمية المكان كمكون أساسي في الرواية؛ إذ يساهم بشكل كبير في بلورة العمل الروائي باعتباره «ملعب الأحداث، والشخصيات الروائية، وكلما أجيد بناؤه وتجهيزه استطاعت الأحداث والشخصيات أن تؤدي دورها بشكل أفضل، وتبرز مهاراتها بشكل أكمل ». (1)

ومن هذا المنطلق بدأ الباحثون يحولون الوصول إلى مكوناته وفك شفراته بسبب تطور الخطاب الروائي، فأبدع الأدباء في تشكيله وتصويره في النص نتيجة رغبة الروائي «في إبراز الرؤيا التي يريدها». (2)

فأضحى المكان الروائي تعبيراً عن رؤى ووجهات نظر الروائي لمجتمعه وبيئته وهذا ما نجده في روايات "عبد الرحمن منيف"، فنجد جل رواياته تتطرق للقهر العربي الذي يمارس من قبل السلطة والحكومة على الفرد، من قهر، واضطهاد وسلب للحريات المشروعة في البلدان العربية، فغدا المكان في الرواية تعبيراً عن علاقة الفرد مع مجتمعه، وبيئته أي أنه لم يبق «مجرد رقعة جغرافية في نظر الدارسين فقد اكتشفوا جماليته الكامنة في الخبرة الإنسانية». (3)

(1) نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات ، المكتب الجامعي الحديث د ط ، الإسكندرية ، مصر، 2012م ، ص 197،198.

(2) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا –مقاربات نقدية –، منشورات اتحاد الكتاب العرب د ط، دمشق، 2003 م، ص 69.

(3) الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، ط 1، إربد الأردن، 2010 م، ص 190.

ج ـ " ياسين النصير":

يؤكد " ياسين النصير" على أهمية المكان في حياة الإنسان فيعتبره «الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية، وأفكار ووعي ساكنه». [1]

فالمكان في الرواية لم يعد مجرد رقعة جغرافية فقط؛ أي شيء جامد لا حياة فيه بل أصبح ينبض بالحياة كون الإنسان دائم التفاعل معه، إذ يصب مجمل أحزانه وهمومه ومشاعره عليه.

«ويقسم "ياسين النصير" المكان إلى:

1. **المكان الموضوعي:** يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية، وتستطيع أن تؤثر عليه لما يماثله اجتماعياً وواقعياً أحياناً.

2. **المكان المفترض:** تتشكل أجزاء هذا المكان وفق منظور مفترض، وقد يستمد بعض خصائصه من الواقع غير أنه ابن المخيلة البحتة». [2]

وبسبب اختلاف وجهات النظر بين الدارسين والباحثين العرب، اختلفت نظرتهم للمكان، فكل نظر إليه من زاويته الخاصة، لذلك تعددت وتنوعت أنماط المكان من باحث لآخر.

---

(1) ياسين النصير، الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نيونى للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، سوريا دمشق، 2010 م، ص 70.

(2) المرجع نفسه، ص 22.

د _ "حسن بحراوي":

يقسم "حسن بحراوي" المكان إلى قسمين:

«**1. أماكن الإقامة:** وهي الأماكن التي يعيش فيها الفرد ويقيم فيها سواء كان مجبراً أو مخيرًا، ويعطي "بحراوي" تفريعات أخري تابعة لأماكن الإقامة وهي " أماكن الإقامة الاختيارية " كالمنزل، و" أماكن الإقامة الإجبارية " كالسجن.

2. أماكن الانتقال: وهي المسرح لحركة الشخصيات، وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها، كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة مثل الشوارع والأحياء، والمحلات والمقاهي.... إلى غير ذلك».[1]

ومن هذا التقسيم يظهر لنا أن " حسن بحراوي" يقسم المكان إلى قسمين أو قطبين رئيسيين و هما "أماكن الإقامة " و " أماكن الانتقال " في حين أن هناك تفريعات لا نهائية من كل قسم من هذين القسمين ، فنجده يأخذ « بمبدأ التقاطب كمفهوم نقدي و كأداة إجرائية بالمعني الذي أعطته له الشعرية الحديثة لوتمان و باشلار وميتران....»[2]؛ أي أنه أخذ من الدراسات الغربية هذا المبدأ " التقاطبات" بمعنى الثنائيات الضدية : كالخاص / العام ، المغلق / المفتوح ، الأليف/المعادي....و إلى غير ذلك من الثنائيات ، غير أنه لم يأت بنفس الثنائيات التي جاء بها " باشلار" و غيره من الغرب.

(1) ينظر، حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء–الزمن–الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب، 2009 م، ص 40.

(2) المرجع نفسه، ص39.

أما بالنسبة للمصطلحين الفضاء الروائي والمكان الروائي فلم يفرق "بحراوي" بين المصطلحين واعتبر الفضاء الروائي هو نفسه المكان الروائي.

فالمكان في الرواية «عنصر حكائي مثل غيره من مكونات السرد إنه لا يوجد إلا من خلال اللغة فهو فضاء لفظي (Espace Verbal)، فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة».[1]

فأضحى للمكان أهمية في العمل الروائي، كونه بنية من البنيات الأساسية المشكلة للرواية فمثله مثل الزمان، والشخصيات، والأحداث .... إلى غير ذلك من عناصر الرواية.

فالمكان يتشكل انطلاقاً من لغة إضافة إلى الخيال، فيغذوا المكان صورة ذهنية في مخيلة القارئ، غير أننا نجد بعض الأمكنة الموظفة في الرواية تكون «صورة طبق الأصل للمكان الواقعي، قد يكون هذا صحيح إلى حد ما، لكن هناك ما يجعله يختلف لأنه ينفصل عن جغرافيته، وهندسته، وهو يتموقع ضمن عناصر الحكي الأخرى في النص».[2]

أي أن هناك من يوظف الأمكنة في الرواية توظيفاً حقيقياً، ويصف الأمكنة كما هي موجودة فعلاً على أرض الواقع، وهذا ما نجده في روايات " نجيب محفوظ " وهذا النوع من الروايات " الواقعية " نجد «للأمكنة (....) حضوراً جغرافياً وفني طاغي يكاد يتعانق المكان الحقيقي " الجغرافي " بالمكان الإبداعي " المتخيل"».[3]

(1) شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة دراسة في آليات السرد وقراءات نصية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2014 م، ص 83.

(2) الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، ص192.

(3) شريف الشافعي، نجيب محفوظ المكان الشعبي في رواياته بين الواقع والإبداع، الدار المصرية اللبنانية ط1، القاهرة، مصر ،2006 م، ص13.

فيغدو المكان بطلاً في الرواية، وذلك من خلال «ما يحفل به من أحداث ووقائع وعادات، وتقاليد، وقيم، ومفاهيم، وما يفرضه أيضا من فعل وقول».[1]

فالمكان إذن بنية من البنيات الأساسية المشكلة للرواية، وعنصر حكائي يساهم في بلورة العمل الروائي، إذ يضفي عليه الجمالية وكذا الواقعية.

وعليه فالمكان «يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجمع أجزاءه ويحمله طابعاً مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة، ولمبدأ المكان نفسه»[2]، فالمكان في الرواية يعكس لنا نظرة الروائي لبيئته ولمجتمعة، وذلك من خلال توظيفه لبعض الأمكنة التي تصبح دلالات تشع بمدلولات التي يرمي الروائي إيصالها إلى القارئ، وهذا الأخير يسعى دائماً إلى فك شفرات الرواية، وألغازها من أجل الوصول إلى مكنوناتها والغور في ثناياها، وما المكان إلا شفرة من الشفرات التي يستعين بها الروائي لبث تصوره.

ومن خلال هذه الأهمية التي أضحى يكتسبها المكان تطرق له الباحثون بالدراسات غير ان تنوع التخصصات والترجمات أدى إلى اختلاف وجهات النظر بالنسبة للمكان كمصطلح.

هـ _ "عبد المالك مرتاض":

يذهب "عبد المالك مرتاض" خلاف طرح "حميد لحميداني"، إذ يعتبر «أن مصطلح الفضاء (....) قاصر بالقياس إلى الحيز لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل، والحجم، والشكل ... وفي حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده».[3]

(1) عادل فريجات، الخطاب وتقنيات السرد في النص الروائي السوري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب د ط، دمشق، 2009 م، ص 29.

(2) عدالة أحمد إبراهيم، الجديد في السرد العربي المعاصر، دار الثقافة والإعلام، ط1، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2006 م، ص84.

(3) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 121.

فالحيز على حسب طرح " مرتاض" أشمل وأوسع من الفضاء، ونجده يفضل استعمال مصطلح الحيز بدل الفضاء، والمكان لأنه أكثر اتساع وشمولية، فالحيز إذن «كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد، والأحجام، والأثقال، والأشياء المجسمة مثل الأشجار الأنهار وما يعتور هذه المظاهر الحيزية من حركة أو تغير».[1]

ومن هذا الطرح " فعبد المالك مرتاض " يؤكد على أن الحيز شمولي وأوسع من الفضاء وكذا المكان، غير أننا لا نجد هذا المصطلح " الحيز " مستعملاً كثيراً في المقاربات في هذا المجال، مقارنةً بمصطلح " الفضاء" (Espace) و " المكان " (Lieu) الأكثر شيوعاً.

ومن مظاهر الحيز على حسب طرح "مرتاض":

«**1. المظهر الجغرافي:** وهذا المظهر يعكس مثول الإنسان في صورة خيالية (الشخصية) فإن هذه الشخصية ما كان لها لتضطرب إلا في حيز جغرافي أو في مكان.

2. المظهر الخلفي: وهو المظهر الغير مباشر، بحيث يمكن تمثل الحيز بواسطة كثير من الأدوات اللغوية، غير ذات الدلالة التقليدية على المكان مثل الجبل والطريق والبيت، والمدينة.... وذلك بالتعبير عنها تعبيراً غير مباشر مثل قول القائل في أي كتابة روائية: سافر، خرج، دخل (....) فمثل هذه الأفعال تحيل على عوالم لا حدود لها، وهي كلها أحياز في معانيها» .[2]

(1) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية «زقاق المدق» ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1997م، ص 245.

(2) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص123، 124.

و _ " سيزا قاسم":

تطرقت الناقدة "سيزا قاسم" للمكان في دراستها فكان لها إسهامات كثيرة في هذا المجال، حيث ألفت العديد من الكتب التي تطرقت للمكان الروائي بالدراسة ككتاب " القارئ والنص العلامة والدلالة" كذلك كتاب " بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ " وكتاب "جماليات المكان" بالاشتراك مع مجموعة من المؤلفين.

وتؤكد " سيزا قاسم " على أهمية المكان بالنسبة للإنسان، وأنه دائم الارتباط به حيث تقول: «يرتبط البشر ارتباطاً وثيقاً وحيوياً بالمكان الذي يعيشون فيه، فالإنسان يعيش في جسده وبه، ويموت إذ أصيب بمكروه» [1]؛ أي أن المكان مرتبط بالإنسان وملتصق به، إذا تعتبر " سيزا قاسم " الجسد مكان لأننا نعيش داخله.

كذلك للمكان أهمية في الرواية وذلك من خلال مساهمته في تشكيل الفن الروائي بتضافره مع بقية العناصر الأخرى، كالزمان، والشخصيات، والأحداث.... إلى غير ذلك «فالرواية تتشكل عامة من بعدين هامين يمثل البعد الأول سيرورة زمنية تقع فيها الأحداث، ويمثل البعد الثاني وصف الأشياء والأماكن، ويمكن اعتبار البعد الأول بعداً أفقياً في حين يعتبر الثاني عمودياً، ومن البعدين معاً يتشكل فضاء الرواية».[2]

ومن هذا الطرح فالرواية تتشكل من مكونات كالزمان، والشخصيات والمكان .... إلى غير ذلك من عناصر المكونة لها، ولكل عنصر من هذه العنصر أهميته في بلورة وتشكيل العمل الروائي.

(1) سيزا قاسم، القارئ والنص العلامة والدلالة، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، القاهرة ،2002م، ص38.

(2) صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عين مليلة الجزائر،2003م، ص181.

وتقسم سيزا قاسم المكان إلى نوعين:

«**1. المكان الفردي:** وهو حيز فردي يمارس فيه الفرد حياته اليومية وتجعله مقابل للمكان الخاص.

2. المكان الجمعي: وهو حيز جماعي تنظمه الجماعة لتحافظ على تماسكها وتناغمها وهذا المكان يكون مقابلاً للمكان العام».[1]

فالنوع الأول من الأمكنة يخص فقط مجموعة من الأفراد التي تستطيع الولوج إليه كالبيت ـ مثلاً ـ، أما النوع الثاني فيكون مشاع لكافة البشر، كالشوارع، والأسواق والمساجد.... إلى غير ذلك من الأماكن المشاعة.

كما نجد العديد من التقسيمات بخصوص المكان الروائي، نتيجة اختلاف التخصصات أدى إلى تنوع أنماطه، وأقسامه من باحث لآخر إذ لا نجد تقسيم محدد للمكان.

ز_ " شجاع العاني":

«يقسم" شجاع العاني" المكان الروائي إلى أربعة أصناف:

1. المكان المسرحي: ويتميز بأنه مكان مجازي أو افتراضي، كذلك يتميز بأنه سلبي وهو تابع للأحداث والشخصيات، وأنه مجرد إطار لهما لا يتفاعل معهما، ولا يؤثر في صياغة الحبكة الروائية.

2. المكان التاريخي: وهو المكان الذي لا ينفصل عنه الزمان، مما قد يوحي بأننا نعتقد بأن ثمة مكاناً له علاقة بالزمان وآخر لا علاقة له.

3. المكان الأليف: ونعني به كل مكان يثير الإحساس بالألفة، وكل مكان عشنا فيه وشعرنا فيه بالدفء والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا.

4.المكان المعادي: وهو كل مكان يثير الإحساس بالضيق والعداء لدي البشر، ويتمثل في السجون والمعتقلات وغيرها».[2]

---

(1) ينظر: سيزا قاسم، القارئ والنص العلامة والدلالة، ص 39.

(2) محمد عويد محمد ساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012م، ص 14.

من خلال قراءاتي لبعض المراجع استخلصت أنواع المكان وتقسيماته عند بعض الباحثين العرب في الجدول الآتي:

الباحث	تقسيماته للمكان
أ_ "غالب هلسا"	**1.** المكان المجازي **2.** المكان الهندسي **3.** المكان ذو التجربة المعاشة **4.** المكان المعادي
ب_" حميد لحميداني"	**1.** الفضاء الجغرافي **2.** فضاء النص **3.** الفضاء الدلالي **4.** الفضاء كمنظور
ج_ "ياسين النصير"	**1.** المكان الموضوعي **2.** المكان المفترض
د_ "حسن بحراوي"	**1.** أماكن الإقامة **2.** أماكن الانتقال
هـ_ "عبد المالك مرتاض"	**1.** الحيز الجغرافي **2.** الحيز الخلفي
و_ " سيزا قاسم"	**1.** المكان الفردي **2.** المكان الجمعي
ز_ " شجاع العاني"	**1.** المكان المسرحي **2.** المكان التاريخي **3.** المكان الأليف **4.** المكان المعادي

إن أنواع المكان وتقسيماته تعددت، واختلفت من باحث لآخر فكل ونظراته للمكان انطلاقاً من تخصصه، لذلك لم يضبط وفق تقسيم واحد ومحدد متفق عليه، و لذلك نجد أن المقاربات خاصة للفن الروائي بخصوص المكان تتنوع، إذ نجد كل باحث و التقسيم الذي يعتمد عليه، فهناك من ينتهج تقسيم "غاستون باشلار" " المكان الأليف" و" المكان المعادي" ، و هناك من يعتمد على تقسيم "حسن بحراوي" " أماكن الإقامة " و " أماكن الانتقال... و إلى غير ذلك من التقسيمات المتعددة و المتنوعة التي لا حصر لها.

غير أن المكان الروائي يبقى عنصر أساسي وجوهري في العمل الروائي حيث «عرف على أنه وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفني في نظرية الأدب وعدا إحدى الوحدات التقليدية الثلاث» .[1]

فالمكان إذن عنصر أساسي و جوهري في الأعمال الأدبية عامة و الأعمال الروائية خاصة ، لذلك نجد بعض الروائيون يوظفون المكان لتعبير عن وجهات نظرهم و رؤاهم للبيئة و المجتمع ، فيغدوا المكان دالاً يشع بالمدلولات التي يرمي الكاتب إيصالها إلى ذهن المتلقي و مثال ذلك الروائي "عبد الرحمن منيف" هذا الروائي الفذ الذي استطاع من خلال رواياته كشف و تعرية الواقع العربي، و ذلك من خلال تطرقه إلى الجوانب المسكت عنها كالقمع ، و الاستغلال ، و الفقر و الاضطهاد...إلى غير ذلك من القضايا التي كثيراً ما يثيرها في رواياته، و من بين هاته الروايات رواية " الأشجار و اغتيال مرزوق" التي سنتطرق لها بالدراسة محاولين أن نكشف رؤية "عبد الرحمن منيف" من خلال الأمكنة الموظفة في الرواية ، و كيف كانت هذه الفضاءات داعماً لتحقيق الحرية و أخرى للاحرية.

(1) عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد27، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، العدد1، 2005م، ص123.

الفصل الثاني: فضاءات الحرية واللاحرية في رواية " الأشجار واغتيال مرزوق"

أولاً: أنواع الأمكنة

1/ المكان الاليف

أ-القرية

ب-الجبل

ج-المغارة

د-القطار

هـ-القبر

2/ المكان المعادي

أ-الوطن/ البلدة

ب-المدينة

ج-الحمام

د-المقهى

هـ-السجن

و-الفرن

ز-الفندق

ح-الجامعة

ط-جنوب التل

ثانياً: الحرية والمكان في الرواية

1/ فضاء الأنا واللاحرية

أ-فضاء السلطة واللاحرية

ب-فضاء القمع ومصادرة الرأي

ج-فضاء الحلم والتخيل

2/ فضاء الآخر والحرية

أ-فضاء العدل والحرية

ب-فضاء الآخر وحرية الرأي

أولاً: أنواع الأمكنة في الرواية:

تنوعت أنماط المكان وتقسيماته من باحث لآخر فكل ووجهة نظره انطلاقاً من تخصصه، فانعكس ذلك على تقسيمات المكان الروائي إذ لا نجد تقسيماً واحداً متفقاً عليه سواء أكان ذلك في الدراسات العربية أم الغربية، غير أننا اعتمدنا في رواية " الأشجار واغتيال مرزوق" " لعبد الرحمن منيف" استكناه الأمكنة وفق تقسيم "غاستون باشلار" حيث قسم أنواع المكان إلى قسمين " المكان الأليف" و " المكان المعادي".

1/ المكان الأليف:

« هو المكان الذي تأنسه النفس، و يركن إليه، و يدعو النفس إلى الطمأنينة والارتياح والرضا، لتوفره على ما يحتاج إليه الإنسان في حياته اليومية (....) وهذا المكان يدعوا إلى الألفة، وهو شعور يعني الاجتماع والالتئام والمؤانسة »[1] فالإنسان يشعر بالألفة من خلال المكان الذي يوفر له الحماية، والأمن ، والطمأنينة، والدفء فيصبح هذا المكان أليفاً بالنسبة إليه ، و على حد تعبير "غاستون باشلار"« كل مناطق الألفة موسومة بالجاذبية »[2] فهي الأماكن التي يظل الإنسان دائماً مرتبط بها ويتذكرها كلما ابتعد عنها لما تمنحه من دفء و راحة ، وأمان....إلى غير ذلك من معاني الألفة ومن الأمكنة الأليفة في الرواية نذكر:

أ-القرية:

القرية التي تحدث عنها "عبد الرحمن منيف" في روايته هي "الطيبة" غير أن الروائي لم يحدد أين تقع هذه القرية في الوطن العربي، علماً أن اسم الطيبة يطلق على العديد من الأماكن، وهذه الأماكن تنتشر في عدة دول عربية.

---

(1) حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن 2013 م، ص174.

(2) غاستون باشلار، جماليات المكان، ص42.

"الطيبة" في الرواية هي قرية "إلياس نخلة" حيث كانت مكاناً أليفاً بالنسبة له، فكان يحبها إلى أقصى الحدود و يعشقها و يعشق أشجارها التي كان مولعًا بها فيقول : متحدثا عن "الطيبة" " لمنصور عبد السلام" أنيسه في القطار « الطيبة مثل بستان كبير فيه كل ما تشتهيه من الفواكه و الخضار » [1] الطيبة في عيون" إلياس نخلة " هي جنة فوق الأرض ، فكانت مكاناً دافئاً يحس فيه بالارتياح و الأمن فالأشجار التي ورثها "إلياس نخلة" عن أبيه أعطت له كل معاني الألفة ، فكان دائم الاعتناء بها، حيث كانت تعني له الماضي ، و الحاضر ، و المستقبل ، فهي كل شيء بالنسبة له خصوصاً بعد وفاة والده الذي كلفه بالاعتناء بها « يا إلياس هذه الأشجار مثل الأولاد وأغلى من الأولاد (....) أنا أتركها أمانة في رقبتك، فإذا قطعت شجرة قبل أوانها فإن جسدي في القبر سوف ينتفض» .[2]

كانت علاقة " إلياس نخلة " بقريته علاقة وطيدة من خلال الأشجار التي عززت ارتباطه بقريته، فكانت الأشجار هي سعادته وروحه حيث كان يراقبها كل يوم كيف تنمو وتزهر، وكان يشده بها ارتباط وثيق قلما نجده، فقد «ارتبط معها بخيط رحمي شده إليها فتماهي معها لوجهها النضر المزدان بالأشجار، التي هي عنصر من عناصر الطبيعة وتوحد معها، روحياً، وغدت جزءاً من ذاته» .[3]

فغدت هذه القرية مكانًا دافئًا وأليفاً "لإلياس نخلة"، وكان كلما ابتعد عنها يظل يتذكرها وتظل "الطيبة" وأشجارها في ذاكرته، حتى بعد ذهابه للجبل ظل يتذكرها ويتذكر الأشجار كيف أنها تنمو وتخضر شيئا فشيئا، ورغم أن الجبل فضاء واسع يستطيع ممارسة كل حريته فيه، إلا أنه بدا " لإلياس" مكاناً ضيقاً وظل حزينًا يفكر بالأشجار إذ يقول: «كنت في الجبل استغرق في التفكير والحزن، لكن منظر الأشجار لم يفارقني

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط12، الدار البيضاء المغرب، 2005 م، ص46.

(2) المصدر نفسه، ص47.

(3) مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار التكوين، ط3، دمشق، 2009 م، ص54.

لحظة واحدة، كنت أفكر فيها ليل نهار، أتصورها واقفة بشموخ لا يقهر وسط السهول الجرداء المترية، أتصورها تداعب الرياح وتحتضن العصافير (....) كنت أتصورها مقرورة في الشتاء وقد نحلت وتعرت، وتقترب من الأرض عندما تصفعها الريح تريد حماية» .[1]

فالمكان الأليف يظل الإنسان يتذكره كلما ابتعد عنه ، ويشده الشوق و الحنين لرؤيته لأنه مرتبط به، و يظل دائما ينجذب إليه، غير أن "باشلار" يعتبر البيت هو المكان الأكثر ألفةً ، و كلما ابتعد عنه الإنسان يظل يتذكره ، غير أن " منيف " جعل من قرية "الطيبة" هي المكان الأكثر ألفةً بالنسبة " لإلياس"، لأنه مرتبط بها و بأشجارها و يظل دائما يتذكرها فكانت بالنسبة له هي روحه ، و انتماؤه و هويته فكان يحس فيها بالأمن و الراحة و الطمأنينة « فتماهى معها و غدت ذاته ، فرآها إنسانا يحس ويحن و يعطي » .[2]

ولشدة ألفة هذا المكان غدت "الطيبة" مكاناً دافئًا حنوناً بالنسبة " لإلياس" و يشبهها بالحنان والعطف الذي تمنحه الأم لولدها ، فكانت الأشجار بالنسبة " لإلياس" هي الأم الحنون التي ترأف ، وتحمي صغارها من أي ضرر أو مكروه ولشدة تعلقه بالقرية وأشجارها أضحت بالنسبة له « هي الارتباط الوحيد بهذه الحياة » [3] ،لأنه كلما يرى الأشجار كانت تؤنس نفسه و يحس بالراحة والرضا فكان منظر الأشجار في " الطيبة" أجمل صورة بالنسبة " لإلياس" فيقول: « ما أشد روعة الأشجار في ظهيرات الصيف إنها تحمل الظل، إنها لا تحمل الظل فقط، إن لها رائحة نفاذة تغزو القلب » .[4]

فقد جعل "منيف" من قرية "الطيبة" بمثابة بيت الطفولة الذي يظل في ذاكرة الإنسان منقوشاً فيها، و يظل متعلقاً و مشدوداً إليه مهما ابتعد عنه، و هذه "الطيبة" كانت بيت " إلياس نخلة " غير أن "منيف" لم يحدد لنا أين تقع هذه " الطيبة "

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص51.

(2) مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص74.

(3) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص48.

(4) المصدر نفسه، ص60.

فجعل الفضاء واسعاً ومفتوحاً، و هو يقصد ها هنا الوطن العربي ككل، لذلك نجده لم يخصص منطقة دون أخرى ، و هو هنا يعطي مثال عن الإنسان الشرقي بشخصية "إلياس نخلة" كيف يكون متمسكاً بأصالته، و انتمائه، و هويته قبل أن يضطهد و يعنف فتتلاشى هذه المبادئ ، و يصبح إنساناً آخر تدفعه الظروف و تجبره أن يترك كل شيء وراءه بحثًا عن الحرية.

كما أن "منيف" لم يذكر فقط "الطيبة" في الرواية، بل ذكر عدة قرى أخرى " كالعزراوية"، "وبيلة"، و"المغيريب" التي كان " إلياس" يتنقل بينها عندما كان بائعا متجولاً، وكانت هذه القرى فضاءات أليفة بالنسبة " لإلياس" حيث تعرف على عدة نساء وأصبح معروفاً هو وحماره "سلطان" فيقول: «إني أصبحت معروفًا في القرى التي أمر عليها، وقامت بيني وبين الناس علاقات المودة والتفاهم» . [1]

أصبح " إلياس" يحس بالسعادة ، والراحة وهو ينتقل من قرية إلى أخرى هو و حماره ، فأضحت هذه القرى فضاءات دافئة يحس فيها " إلياس" بالأمن ، والأمان بعدما كان مشردًا وضائعاً في المدينة ، فهذه القرى منحت " لإلياس" الدفء ، والأمن ولشدة سعادته و فرحه نسي "الطيبة" و الأشجار ، وهو ينتقل من قرية إلى أخرى هو وحماره "سلطان" الذي جمعته به علاقة ألفة وحب ، فكان يتعامل معه بكل رفق و حنان و كان يحكي له عن خلجات نفسه كأنه إنسان يحس و يفهم ما يقوله له ، فقد كان الحمار صديقاً " لإلياس" حتى أنه اعتبر شراء الحمار أهم شيء في حياته و لدرجة حبه وتعلقه بهذا الحمار يقول: « تولدت بيننا ألفة قلما تجمع بين إثنين، كان حماراً عجيباً وذكياً(...) كان يفهم أكثر من البشر دون أن يقول كلمة واحد » .[2]

تعلق " إلياس" بالطيبة ولدرجة تعلقه بها كان كلما يبتعد عنها يظل يتذكرها ويشده الحنين والشوق إليها، لذلك لم يستطع الاستقرار في أية قرية من هاته القرى، فكان دائم

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص68.

(2) المصدر نفسه، ص71.

العودة إلى قريته "الطيبة" حتى بعد زواجه من "حنة" حيث سكن معها مدة من الزمن في بيت أمها في قرية "المغيريب" لكنه فضل العودة إلى "الطيبة"، واعتبرها أجمل وأفضل المدن فأي «إنسان يحب مدينته ويعتبرها أهم المدن» .[1]

غير أن هذه القرية تغيرت لأن الفضاء عند "عبد الرحمن منيف" ليس ثابتاً بل متغير، " فالطيبة" تحولت من جنة فوق الأرض في عيون " إلياس"، إلى أرض قاحلة جرداء كالصحراء، فلم يستطع " إلياس" البقاء فيها لأنها تحولت إلى فضاء معادي لا يطيق البقاء فيه.

ب-الجبل:

الجبل تقدمه الرواية، على أنه مكان أليف لجأ إليه " إلياس نخلة" من أجل حريته التي فقدها في قرية "الطيبة"، التي لم يستطع البقاء فيها بعدما قطعوا أشجاره فاختار الصعود للجبل بإرادته وأضحى مكانًا أليفاً بالنسبة له، والمدة التي قضاها فيه أربع سنوات.

غير أنه في أيامه الأولى في الجبل كان يتذكر "الطيبة" وأشجارها فيقول: «كنت في الجبل أستغرق في التفكير والحزن، لكن منظر الأشجار لم يفارقني لحظة واحدة كنت أفكر فيها ليل نهار، أتصورها واقفة بشموخ لا يقهر »[2] ولكن سرعان ما تلاشت هذه الصورة من ذاكرته حين رجع إلى " الطيبة"، ووجدها قاحلة جرداء بعدما كانت خضراء زاهية « ودون أن أمر على بيت من بيوت البلدة وجدت نفسي أرجع إلى الجبل »[3] ، فلم يستطع البقاء في " الطيبة" بعدما فقدت أشجارها فأصبحت مكاناً معاديا بالنسبة له ، وتغيرت صورته " للطيبة" فأضحت مكاناً ضيقًا.

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص123.

(2) المصدر نفسه، ص51.

(3)المصدر نفسه، ص52.

وبلدة تخنق الأنفاس بعدما فقدت هويتها؛ أي أشجارها، فأصبح الجبل مكاناً أليفاً وفضاء للتفكير، والعزلة، والتأمل فيقول: «كنت أعيش وحيداً (....) وكنت في الجبل استغرق في التفكير والحزن (...) كانت الأشجار الشيء الوحيد الذي أراه وأفكر فيه في الليل والنهار» .[1]

فالجبل أضحى فضاءً للحرية التي فقدها في قريته، فأصبح يعتمد على الصيد في تأمين لقمة عيشه، صحيح أنه بالنسبة لنا مكان متوحش لأنه فضاء معزول تسكنه الحيوانات الضارة والمتوحشة والعيش فيه صعب، غير أن "منيف" يطرحه في الرواية على أنه مكان أليف لجأ إليه " إلياس" من أجل أن يكون حراً، وهذا ما يستدعي قول: كارل بوبر (Karl Popper) «أن الناس يفضلون حياة غير آمنة في البرية على أن يكونوا خاضعين لجيرانهم الأكثر قوة منهم، فقد اختار هؤلاء الحرية» . [2]

فالإنسان يلجأ إلى الأماكن المعزولة من أجل حريته، ومن هذا الطرح فالمكان له علاقة بالحرية، إذ منه يستطيع الإنسان ممارسة حرياته دون قد من أحد.

تغير الجبل إلى فضاء أليف ودافئ بالنسبة "لإلياس" فيقول: «ما كدت أصل الجبل هذه المرة حتى شعرت بالرضا، شعرت بسكينة تملأ نفسي وتراءت لي الطيبة بلدة صغيرة ضيقة، والحياة فيها لا تطاق، وقد استغربت كثيرا أني عشت فيها كل هذه السنين» [3] فالطيبة أصبحت مكانا معاديًا "لإلياس نخلة" ولم يستطع العيش فيها، حيث أضحت مكاناً ضيقًا متوحشًا، وفضل العيش في الجبل على أن يعيش في " قريته" التي دنس سكانها ملامحها، وهويتها وذلك بقطع أشجارها.

فبعدما كانت "الطيبة" أعظم قرية في عيون " إلياس" أصبح يراها مكاناً معاديًا وصار الجبل فضاءً لحريته التي فقدها في قريته حين تآمروا عليه لقطع أشجاره.

---

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص51.

(2) كارل بوبر، في الحرية والديمقراطية، تر عقيل يوسف عيدان، مركز الحوار للثقافة (تنوير)، ط1، الكويت، 2009م ص27.

(3) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص52،53.

فأضحى الجبل فضاءً يمارس فيه " إلياس" حريته دون قيد في الحركة من أحد يقول: «كنت أعيش في المغاور آكل الأعشاب، والطيور وبعض الأحيان الحيوانات أشرب من نبع صغير كان ينحدر من جبل باتجاه الوادي حتى يصل الطيبة »[1] أو قيد في التفكير فيقول: « فلما أصبحت في الجبل وحيداً، أخذت أفكر بهذه الحياة التي تمتلئ بالتعاسة، وقد تساءلت كثيراً لماذا يكره الناس بعضهم(...) ماذا استفاد أهل الطيبة لما قطعوا أشجار إلياس» .[2]

فالمكان له تأثير على النفس، وخصوصاً إذا كان الإنسان يعاني الظلم والاضطهاد فتصبح الطبيعة أكثر ألفة وقربا منه، وتصبح أصواتها لها معاني في هذه الحياة لا يدركها الإنسان ،إلا إذا اقترب منها وتعايش معها، فيصبح لصوت الرياح معنى ولحفيف الأشجار معنى...إلى غير ذلك من أصوات الطبيعة، التي تؤنس النفس، وترتاح في كنفها، وهذا ما أصبح يعيشه "إلياس" فيقول « إن الإنسان في الجبل يتحول إلى مخلوق عجيب يسمع أحسن مما يسمع أهل الطيبة، ويرى أحسن منهم أيضا، والريح والأحجار، والقمر وكل شيء يصبح أفضل بكثير، تفقد الأشجار قسوتها وتصبح أقرب إلى الإنسان، كنت إذا استندت إل حجر من أحجار الجبل أشعر بالراحة واللذة » .[3]

فالطبيعة أضحت أكثر قربًا وحنانًا من "إلياس" لما وفرته له من راحة ،وطمأنينة ولدرجة قربه منها أصبح يتعامل مع القمر والحيوانات، والأشجار، والحجارة...، إلى غير ذلك، على أنها بشر تحس وتتألم مثله، فكان ينظر إلى القمر وهو يطل على الطيبة حزينًا كئيبًا لما جرى لها، فلم يكن "إلياس" فقط حزيناً على الطيبة بل شاركته الطبيعة هذا الحزن كذلك، وهذا « يكشف عن نظراته الجمالية إلى الحياة بمفهومها الشامل وهو كأي إنسان شعبي يعتمد في حياته على الارتباط بالطبيعة لعطائها الخيّر

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص52.

(2) المصدر نفسه، ص53.

(3) المصدر نفسه، ص 52.

و يمنح عناصرها ومظاهرها أرواحاً بشرية تدرك، وتحس، وتشعر وتعطي، وتحزن لأنه لا يستطيع أن يرى العالم الطبيعي المحيط به شيئا جامدًا » .[1]

فالجبل رغم عزلته وصعوبة العيش فيه إلا أن " إلياس" اعتبره مكاناً أليفاً لما منحته له الطبيعة من راحة وأمن وأمان وطمأنينة، التي كان محروماً منها في قريته وبين أهله وهذا الطرح يعكس نظرة "منيف" للأمكنة فحتى لو كانت متوحشة، ومعادية في نظرنا "فمنيف" يطرحها بصورة أخرى، على أنها مكان أليف بالنسبة للإنسان المعنف والمضطهد...إلى غير ذلك لأنها تحميه وتأويه فتصبح هذه الأمكنة أكثر التصاقاً وقربًا منه، فالمكان عند "منيف" يؤثر ويتأثر.

ج-المغارة:

المغارة يطرحها "منيف" في الرواية كمكان أليف لجأ إليه "إلياس نخلة" بوصفه بيتًا له ، فكانت توفر له الحماية والأمن والدفء اللذان حرم منهما في بيته الأصلي الذي لم يذهب إليه مدة طويلة من الزمن، فلو أنه لم يسمع بمرض أمه من الرعاة لما ذهب إليه، غير أنه سرعان ما رجع للمغارة التي أضحت مكانًا أليفًا يرجع إليه "إلياس" بعد يوم طويل لما توفر له من معاني الألفة، فأصبح يشده بها خيط حميمي لأنها منحته الأمن والأمان والدفء، الذي فقده في قريته وكذلك في بيته فيقول:« عندما دخلت البيت، كانت أمي تنام على نفس الفراش (...) فما كدت أنظر إليها حتى أفاقت (...) قلت لها ولكنك تعرفين زيدان لو رأيته لقتلته، وإذا رآني لن يتركني أرجع للجبل مرة أخرى ».[2]

فبيت " إلياس" أضحى مكاناً معاديًا ولا أمان فيه، لأن زيدان كان يريد الانتقام من "إلياس" لما فعله به وبغنمه في نفس الليلة التي قطعوا فيها أشجاره «لم تنته تلك الليلة حتى قضيت على مئة رأس من الغنم في حظيرة زيدان(...) وما كدت أخرج

(1) مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، ص80،79.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص56.

من الحضيرة(...) حتى وجدت زيدان يحمل مصباحاً(...) وبغصن انتزعته بدأت أمزق جسده، كنت أريد أن أحفر جسده ذكرى لا ينساها» .[1]

"فإلياس" هجر بيته وقريته ومكث في المغارة التي اعتبرها بيته الجديد وأحس فيها بالطمأنينة والراحة، كما أنها منحته الدفء في أيام الشتاء الباردة، فأصبحت المغارة مكانًا أليفاً يلجأ إليه "إلياس نخلة" في أيام الشتاء الباردة وفي أيام الصيف الحارة ، فكانت بيتاً جديدًا منحته الأمن والأمان اللذين حرم منهما في بيته الاصلي، يقول « المغارة التي كنت أنام فيها، فإنها أغرب شيء رأيته في حياتي، كانت في الشتاء دافئة تلتهب بالحرارة، أما في الصيف فإنها تتحول إلى مكان بارد يفوق ببرودته تلك المياه التي تصل إلى الطيبة » [2]، فالمغارة جاءت في الرواية على أنها مكان أليف، رغم أنها لا توفر الحاجات اليومية بالنسبة للإنسان، غير أن "منيف" يجعلها مكانًا أليفاً، فقد فضل "إلياس" العيش في المغارة على أن يبقى في القرية والبيت الأصلي له، وهذه تعكس نظرة "منيف" للحياة فالإنسان المضطهد والمحروم من الحرية في بيته وبلدته يلجأ إلى فضاءات أخرى لتمنح له الأمن والحرية، حتى وإن كانت هذه الأماكن معزولة، كالجبال والوديان والمغارات...إلى غير ذلك.

والبيت الأصلي يطرحه "منيف" كمكان معادي لا يحمل في أحضانه معاني الألفة وهنا "منيف" يكشف عن بعض الجوانب المسكوت عنها في الوطن العربي فالإنسان نتيجة معاناته وحرمانه من أبسط حقوقه وهي حريته، يصبح بيته الذي ترعرع ونشأ في كنفه فضاءً معاديًا ضيقًا لا يستطيع الإنسان البقاء فيه، لتصبح الفضاءات الأخرى المعزولة والصعبة من أن يعيش فيها الإنسان هي الأماكن المفضلة، "فمنيف" يجرد البيت من كل معاني الألفة ليستبدله بفضاءات أخرى تمنح الإنسان هذه الخصوصية.

---

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 50،51.

(2) المصدر نفسه، ص53.

د-القطار:

القطار هو مكان متحرك وغير مستقر يوظفه "منيف" في روايته ليجمع بين شخصيتين "منصور عبد السلام" بطل الرواية، "وإلياس نخلة" رغم أنهما لا يعرفان بعضهما، وكان لقاؤهما مجرد صدفة إلا أن التعارف العام بينهما يأخذ طريقاً إلى أعماق النفس، فيشعران بالألفة والراحة بينهما فيقول: "منصور عبد السلام" «مثل قطط برية تملكنا شعور غريب بالألفة» [1]، فعربة القطار جمعت بين شخصيتين أحدهما مثقف وأستاذ في الجامعة وهو "منصور عبد السلام" والآخر أمي اشتغل في عدة أعمال غير أنهما عاشا التجربة المريرة نفسها مع الوطن.

وهما يسافران في القطار إلى خارج حدود الوطن لم يحدد "منيف" الوجهة فاكتفى بقوله: "منصور" ذاهب إلى الجنوب "وإلياس نخلة" أول مدينة بعد الحدود.

"فإلياس نخلة" كان يسترجع ذكرياته بكل جزئياتها وتفاصيلها، ليشاركها مع "منصور عبد السلام" الذي شده الشوق لسماع قصة "إلياس" كاملة فكان كلما يتوقف عن سرد حكايته يطلب منه "منصور" الاستمرار فيقول: «سألته وقد استولت عليّ الدهشة وأنا أسمعه يتكلم مثل نهر هادر(...) كيف سارت الأمور بعد ذلك؟ وبلهفة انتزعت المطرة وقدمت إليه الغطاء المليء بسرعة، أريده أن يواصل قبل أن تنقطع أفكاره» [2]، " فإلياس" كان يتذكر حياته ومغامرته في وطنه، وقد أعجب "منصور" بذلك وتمنى لو أنه عاش حياته.

فقد جمع " إلياس" و" منصور" علاقة صداقة وألفة جعلت " إلياس" يحكي " لمنصور" عن كل أسراره، ونحن نعلم أن الإنسان بطبعه لا يحكي عن خلجات نفسه إلا إذا أحس بالراحة والأمان والألفة لذلك الشخص، وأيضا لذلك المكان.

---

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص52.

فيصبح هذا الفضاء المغلق "القطار" فضاءً مفتوحاً على عدة فضاءات أخرى تسترجعها الشخصيات، ليتحول هذا السفر إلى إبحار في فضاءات الماضي تعيشه شخصيات "منيف"

" فإلياس" وهو يحكي " لمنصور" عن شريط حياته يحس القارئ أنه مسافر معهم، ويحلق في فضاءات التي تسترجعها الشخصيات، وهذا راجع لبراعة "منيف" في إقحامه للقارئ في هذه المغامرة «ففي الرواية لا نواجه فضاءً خاصًا، وإنما أجزاء وعناصر منظور إليها بطريقة خاصة» .[1]

غير أن الفضاء سرعان ما يتحول، فالأمكنة عند "منيف" متحولة وغير ثابتة على حالة واحدة، فبعد نزول " إلياس" من القطار لأن الشرطة مسكته لأنه يقوم بتهريب الملابس، ظل " منصور" وحيدًا وحزينًا على صديقه " إلياس" الذي ارتبط به وكان أنيسه في رحلته، وكان يشعر وهو برفقته بالطمأنينة والراحة والسعادة، ليتحول هذا المكان إلى مكان معادي.

هـ-القبر:

"منيف" يجعل من القبر في الرواية فضاءً أليفًا بالنسبة " لإلياس نخلة" " ومنصور عبد السلام"، فيلجآن إليه لتخفيف من عذابهم وألآمهم، فكان "منصور" يقصد قبر" أمه" ويجلس لساعات طِوال أمامه، حتى أنه كان ينام هناك، فيقول: حفار القبور «لقد وجدت منصور أكثر من مرة نائماً بين القبور، كان ينام على وجهه ويضع راحتيه فوق رقبته» .[2]

"فمنصور" كان يشتاق لأمه، ولدرجة اشتياقه لها يذهب إلى قبرها وينام هناك على وجهه فوق قبرها، وكأنه ينام في حضن أمه الدافئ ليتحول هذا الفضاء المغلق

(1) أحمد زياد محبك، متعة الرواية دراسة نقدية منوعة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2005م، ص42.

(2)عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص281.

إلى مكان نفسي أليف يحس فيه "منصور" بالطمأنينة والأمن، إلى جانب أمه فيحكي لها عن حاله، ويشكوها آلامه وأحزانه كأنها مازالت تسمعه وتعيش معه، "فمنيف" يطرح لنا صورة إنسان، مضطهد، ومعذب نفسياً لم يجد صدرًا رحبًا ليشاركه أحزانه، سوى هذه الفضاءات "كالقبر".

وهذا الإنسان يوجد منه الكثير في عالمنا العربي، " فمنيف" يريد تعرية وكشف بعض الجوانب المسكوت عنها.

2/المكان المعادي:

هو المكان الذي يشعر اتجاهه الإنسان بالكراهية والعداء على حد تعبير "غاستون باشلار"« هو مكان الكراهية والصراع» [1]، فلا يشعر الإنسان فيه بالألفة بل العكس، فقد تكون هذه الأمكنة قد حوت تجربة مريرة بالنسبة للإنسان، مما دفعه إلى هذا الشعور اتجاهها، أو أن هذه الأماكن يقيم فيها مرغماً كالسجون والمعتقلات.

"ومنيف" مزج في روايته بين المكان الأليف الذي يتحول ليصبح مكانًا معاديًا بالنسبة لشخصياته، لأن «الرواية العربية أساساً من اختلاف في فضاءاتها السردية بين أماكن مألوفة، أليفة، مفتوحة يمكن أن يكون حميما يحتوي في زواياه وأركانه ذكريات الإنسان السعيدة وأماكن غير مألوفة، معادية، ومغلقة تكون انعكاساً لنفسية الأديب المضطربة أو الحزينة» .[2]

أ-الوطن/البلدة:

الوطن هو انتماء الإنسان وهويته، فكل إنسان يحب وطنه، لما يوفره له من حماية وأمن، غير أن الوطن يقدمه "منيف" ببعدٍ آخر وهو القمع والاضطهاد واللاحرية ليصبح مكانًا معاديًا بالنسبة " لإلياس نخلة" " ومنصور عبد السلام"، فأضحى الوطن بالنسبة

(1) غاستون باشلار، جماليات المكان، ص31.

(2) محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا (دراسة في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2005م، ص147.

إليهما مكانًا متوحشًا معاديًا، وهما يسافران في القطار إلى خارج حدود الوطن بحثًا عن الحرية، وهروبا من الظلم والاستبداد والقمع والقهر في الوطن العربي.

غير أن "منيف" لم يحدد عن أي وطن يتحدث بالنسبة " لمنصور" "وإلياس" واكتفى بقوله: على لسان شخصياته وطني، الوطن، البلدة، وطننا...إلى غير ذلك، ومفاد هذا التعميم أنه يقصد الوطن العربي ككل، دون تحديد لمنطقة دون الأخرى.

فالوطن مكان معادي بالنسبة "لإلياس" " ومنصور" اللذين يشتركان في نفس النظرة فيقول: "منصور" متسائلاً «ما هو الوطن؟ الأرض؟ التلال الجرداء؟ العيون القاسية التي ينصهر منها الحقد والرصاص وكلمات السخرية؟ الوطن أن يجوع الإنسان؟ أن يتيه في الشوارع(...) ما أقسى تلك الأيام(...) أريد أن أكون إنساناً جديدًا لا علاقة له بهذه الأرض» . [1]

"فمنيف" يُصور لنا الوطن بصورة أخرى، صورة اللاحرية والقمع والاضطهاد ويقوم بتوسيع هذه الدائرة لتشمل جميع بلدان الوطن العربي،" فمنصور" عاش في بلدة لم يحدد "منيف" اسمها، لكنها غير البلدة التي عاش فيها "إلياس"، غير أنهما يشتركان في المعاناة نفسها وإحساس العداء والكراهية اتجاه الوطن.

فبلدة " إلياس نخلة" اسمها " الطيبة" غير أن "منيف" لم يحدد أين تقع بالضبط في البلاد العربية، وكانت هذه "الطيبة" بلدة صغيرة أحبها "إلياس" وكان يعتبرها أجمل المدن لكن سرعان ما تحول هذا الفضاء إلى مكان معادي متوحش، حين اغتيلت الأشجار، واستبدلت بالقطن فتحولت الزراعة، وتغير المكان كثيراً في عيون " إلياس" إذ يقول: «جاء يوم كرهت فيه البلدة، ورأيتها مثل قفص كبير، خاصة بعد أن تغيرت كثيراً، لما بدأ الفلاحون يقطعون أشجار اللوز والمشمش والجوز ويزرعون القطن مكانها» .[2]

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص22،23.

(2) المصدر نفسه، ص46.

فبلدة " إلياس" التي كان مولع بها وبأشجارها تتحول إلى فضاء مغلق، لتصبح مكانًا معاديًا لا يطيقه، ويحس اتجاهه بالكراهية والعداء، لأن الفلاحون غيروا صورة "الطيبة" من جنة فوق الأرض إلى أرض قاحلة جرداء في عيون "إلياس".

" فمنيف" يقدم هذه الصورة في الرواية مفادها أن الإنسان الذي يتخلى عن هويته وأصالته، حتى صورة المكان تتغير، و" إلياس" هو الوحيد في بلدته الذي كان متمسك بهذه الأصالة والهوية، وكان كلما تقطع شجرة يحزن كثيراً عليها، فكانت بالنسبة له هي بشر يحس ويعطي ويحب ويكره، فكانت فرحته وروحه، وهي الهواء الذي يتنفس وحين اغتيلت فقد انتمائه وارتباطه بوطنه، وأضحى هذا المكان ضيقًا ومعاديًا فيقول: «تراءت لي الطيبة بلدة صغيرة، ضيقة، والحياة فيها لا تطاق» [1] ،"فإلياس" رغم أنه كان له بيت، ووطن، وعائلة، وجيران، إلا أنه لم يشعر بالألفة في بلدته، وتراءت له مكان ضيق يحس اتجاهها بالعداء .

" فإلياس" انتهكت حرمته وحريته بقطع أشجاره، لأن "منيف" يرمز للعديد من الأشياء بلفظة الأشجار، فهي دال مشبع بمدلولات عديدة (الهوية، الأصالة، الانتماء الأم، الأب، الأخ، الحرية...) «فالشجرة إذن هي رمز لمجمل الطبيعة وحتى الكون (...) والشجرة في الحضارات المتطورة رمز العالم » .[2]

أما وطن " منصور السلام" فلم يحدد "منيف" اسمه واكتفى بقوله: الوطن، البلدة وطني...) " فمنصور" عاش حياة صعبة وقاسية في وطنه، فبعدما كان أستاذ في مادة التاريخ في الجامعة يجد نفسه بطالاً، لأنه سرح دون أسباب منطقية، رغم أنه خريج جامعة بروكسل يجد نفسه في الشارع، فخطأه الوحيد أنه حاول كتابة التاريخ من جديد دون زيف أو تلفيق، غير أن السلطة وقفت له بالمرصاد.

---

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص52.

(2) فليب سيرنج، الرموز في الفن – الأديان–الحياة، تر عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، سوريا، دمشق 1998م، ص 286.

« فالسلطة في بلاد المشرق عموماً معادلة للفضاء المغلق والمعادي في الوقت نفسه لا المغلق الأليف» [1]، ليتحول هذا الفضاء المتسع والمفتوح إلى فضاء ضيق ومغلق في عيون "منصور" ،لأنه سرح من الجامعة وحرم من مهنته كأستاذ فكانت رحلته قاسية في الوطن ، من أجل تأمين لقمة العيش ، لأن السلطة كانت تقف دائما كحاجز أمامه، وهذا ما دفعه للبحث عن عمل خارج وطنه.

فأضحى وطن "منصور" مكانًا معاديًا لما عانه فيه فيقول: في حوار أجراه مع نفسه(المنولوج) « الأيام الصعبة، أيام كنت تبحث عن عمل فلا تجده، أيام كنت تدق الأبواب فلا يرد عليك أحد، أيام كنت تنتظر الساعات من أجل أن يتعطف عليك ذلك الكبير، ولكنه يخرج من الباب الآخر(...) كنت تشعر بالمرارة وبالحقد واليأس » [2] ،" فمنصور" كان بائساً، وحزيناً وتعيساً في وطنه ، لأن الأبواب كلها غلقت في وجهه فأضحى الوطن مكاناً معاديًا فيقول: « أتصور أن الإنسان حين يتحدث عن وطنه يتحدث عن الرغبة والحنين، وأنا عكس ذلك» [3]، " فمنصور" لم يشعر بالحنين والشوق لوطنه لما عانه فيه من ظلم وقمع ومصادرة رأيه.

" فمنيف" يطرح على لسان شخصياته "إلياس نخلة" "ومنصور عبد السلام" صورة أخرى عن الوطن، غير الحنين والشوق والألفة، بل العكس العداء والكراهية والنفور فالإنسان في المشرق العربي ككل يقبع تحت وطأة السلطة ومن يحاول الخروج منها فمصيره كمصير "إلياس" "ومنصور"، "فمنيف" يجعل منهما رمزاً لكل أبناء هذه الأمة التي تعاني من اللاحرية، ومصادرة الرأي، وتبقي الحرية عند "منيف" كما تفرضها السلطة.

---

(1) بان صلاح البنا، الفواعل السردية دراسات في روايات عبد الله سلامة، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن 2009م، ص33.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص296.

(3) المصدر نفسه، ص243.

ب-المدينة:

المدينة هي منطقة للتجمع السكاني وتكون أكثر كثافة من سكان القرية وجاءت المدينة في الرواية كفضاء معادي، عانى فيه "إلياس نخلة" وتشرد وجاع فبعد قطع أشجاره اسودت الدنيا في وجهه، فترك قريته "الطيبة"، وتوجه إلى المدينة غير أنها لم ترحمه ولم ترأف عليه، فكان إحساسه اتجاهها بالعداء والكراهية غير أنه كان مجبراً على البقاء فيها، لأنه لم يستطع العودة إلى "الطيبة" يقول : « فكرت أن أعود للطيبة مرة أخرى، ولكن الكراهية الصفراء التي رأيتها في وجوه أهلها صدّتني بسرعة، ودوت في أعماقي صرخة تؤنبني تقول لي: ابق حيث أنت ابحث عن عمل جديد » .[1]

كان " إلياس" ينتقل من مدينة إلى أخرى للبحث عن عمل من أجل تأمين لقمة عيشه، غير أن هذه المدن كانت متشابهة، فلم يحس " إلياس" بالراحة والأمن والألفة رغم أن المدينة فضاء واسع ومفتوح، ولكنها في عيون "إلياس" فضاء ضيق ومغلق أي أنها مكان معادي يقول: «جعت في المدينة الكبيرة تعبت وأنا أدور، صدّتني الوجوه القاسية التي لا تعرف رائحة الأشجار ولا تعطف على الغرباء» .[2]

بما أن المدينة فضاء واسع وأغلب الناس لا يعرفون بعضهم البعض ، ولا تجمعهم علاقات ألفة كما في القرية؛ أي أن العلاقات الدافئة والإنسانية غير موجودة، حتى الموت ظاهرة مألوفة لا تحرك مشاعرهم « إن المدن الكبيرة تستر الإنسان، رغم أنها تظل تنهشه من الداخل حتى يموت والموت في المدن عادة مألوفة تقع كل يوم، لذلك لا تحرك الناس ولا تعني شيئا بالنسبة لهم »[3]، " فإلياس" جابَ العديد من المدن وعمل العديد من الأعمال، غير أن هذه الأعمال تحد من حريته وتزيد من عذابه وكرهه لهذه الفضاءات، فلم يجد ما يتوق إليه من حرية وسعادة وعدل، فالمدينة عالم لا يرحم

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص60.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص89.

وكان "إلياس" ضحية من ضحاياها، كان يعيش حياة صعبة وقاسية يعاني من الوحدة والغربة فيها، غير أن " إلياس"« مأذون له أن يستوطن الغربة، فهي المستقر وهي الاستمرارية وهي الحياة البديلة » [1] التي اختارها على أن يبقى في "الطيبة" لأنه كان يعاني من التهميش من طرف المجموعة التي ينتمي إليها.

المدينة هي الفضاء الجديد الذي اختاره "إلياس"، ولكنه كان مجبراً على البقاء فيها، وكان موقفه منها موقف رفض وعداء وكره، فكان يعيش حالة ضياع نفسي، فللمكان أهمية كبيرة في حياة الإنسان لأنه ذا تأثير مباشر على نفسية الإنسان، وينعكس ذلك على شعوره سواء بالعداء أو الألفة لذلك المكان.

يقول: " إلياس" وهو يحكي " لمنصور" عن تلك الأيام التي قضاها في المدينة «كنت أنام في الأبنية التي لم تنته عمارها، وفي هذه الأبنية الكبيرة المفتوحة من كل الجهات أحسست بالوحشة والألم، كأنّي في باخرة مهجورة يتقاذفها بحر هائج مرت ليالي كثيرة لم أستطع أن أنام خلالها كنت أختبئ في الزوايا هروباً من الريح البارد كنت أسد النوافذ التي تفتح أفواهها مثل القبور » [2]، كانت هذه الأبنية هي ملجأ "إلياس نخلة" في الليالي الباردة، لتوفر له الحماية والدفء، لكنها لم توفر له ذلك، فكانت قاسية وباردة.

وهذا يعكس نظرة "منيف" للمدينة حيث يرى «أن الكتابة عن مدينة الماضي التي يحبها الإنسان تحول هذه المدينة إلى كلمات، والكلمات ذاتها مهما كانت بارعة زلقة خطرة، ماكرة، وغالبا لا تتعدى أن تكون ضلالاً باهتة للحياة(...)علماً بأن الحياة ذاتها كانت أغنى، أكثر كثافة ومليئة بالتفاصيل التي يصعب استعادتها مرة أخرى» . [3]

(1) إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2014م، ص45.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص95.

(3) عبد الرحمن منيف، سيرة مدينة عمان في الأربعينيات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان 1994م، ص6.

ج-الحمام:

هو مكان اشتغل فيه " إلياس نخلة" " كوقاد" يوقد النار، وهذا الفضاء المغلق يقدمه "منيف" كمكان معادي، حيث كان "إلياس" كل يوم يتعذب ويتألم في ذلك المكان ولدرجة عدائه وكرهه له يشبهه بالجحيم، ونحن نعلم أن الجحيم «هو العالم السفلي كما وصفه دانتي(...) في ملحمته الكوميديا الإلهية(...) وتسكنه كائنات معروفة باسم "الضلال" وهي أرواح بلا أجساد» .[1]

" فإلياس" كان وحيداً ومعزولاً عن العالم الخارجي، وهو يقبع في ذلك المكان وما زاد من عدائيته وكرهه لذلك المكان أنه كلما يحرق حطباً يخيل له أنه يحرق أشجار الطيبة، التي لم تفارقه لحظة واحدة وكان دائما يتذكرها، فالأشجار بالنسبة " لإلياس" هي الوطن، والأم، الأصالة، وكذلك الهوية والانتماء، وهي كل شيء بالنسبة له والذي حرم منه وأخذ منه غصبًا، فكان يتذكر "الطيبة" وما ويزيد من اشتياقه وحنينه إليها الحطب الذي يحرقه، فكان الحطب باعث قوي على تذكره الأشجار؛ أي آلامه وأحزانه.

والمدة التي قضاها في الحمام أكثر من سنة، وهو تحت الأرض "القبو" ولم يكن يرى ضوء الشمس طوال هذه المدة فيقول: «كنت قابعاً في ذلك الجحر، مثل خلد أجرب، ألقي الحطب دون توقف، فإذا ما فتح الباب أغلقت عيني خوف أن يقتلني وهج النهار» . [2] ،"فإلياس" يسمي الحمام جحراً علماً أنه مكان مظلم لا نور فيه، وهو نفق محفور في الأرض غير أن " إلياس" لم يعد يحتمل هذا المكان الذي كان يسبب له الآلام والعذاب النفسي، فكلما يحرق حطباً يتراءى له أنه يحرق أشجار الطيبة، فقرر مغادرته والذهاب بعيداً فيقول: «شعرت أن روحي تحوم فوق صدري(...) لم أعد أطيق الحياة تحت الأرض أريد أن أرى الشمس، والأشجار، أريد أن أعيش فوق الأرض» .[3]

---

(1) دان براون، الجحيم، تر زينة إدريس، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2013م، ص7.

(2)عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص62.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"فإلياس" يظل طوال الوقت في الحمام معزولاً عن العالم الخارجي، ووحيداً فالحرية التي كان يتمتع بها "إلياس" في الجبل أصبح محرومًا منها، والأشياء التي كانت تأنسه وتمنح له بعضًا من السعادة كرؤية القمر والشمس، والحيوانات...إلى غير ذلك، لم تعد أمامه، لذلك تولد لديه شعور عدائي نحو هذا المكان.

د-المقهى:

هو مكان عمل فيه " إلياس نخلة" وتقدمه الرواية على أنه مكان معادي، يحد من حرية "إلياس"، لأن الأعمال التي كان يقوم بها لم تكن وفقاً لإرادته، بل كان مجبراً على القيام بالأعمال التي تفرض عليه بأمر من صاحب المقهى المدعو " أبا ذياب" الذي كان ينعته بصفات بذيئة، فكان "إلياس" يشعر دائما بالآلام والعذاب النفسي وهو يقبع تحت سلطة صاحب المقهى" أبا ذياب"، الذي يطرحه "منيف" بصورة الجلاد والمتسلط على الإنسان الضعيف والفقير.

المقهى فضاء مغلق واشتد ضيقه على "إلياس" لأنه لم يشعر اتجاهه بالألفة والراحة بل العكس، كان يحس بالعداء والكراهية، غير أنه كان مجبراً على البقاء والعمل من أجل تأمين لقمة عيشه، " فإلياس" كان يعمل دون توقف لتلبية حاجات الزبائن ، فلم يمتلك لحظة واحدة من وقته لأجل نفسه، بل كان مجبراً على تلبية طلبات الآخرين يقول: " لمنصور عبد السلام" وهو يسترجع أيام شقائه وعذابه في المقهى « كنت أعاني كثيراً ولكنني اضطررت للبقاء، لأن العمل في المقهى كان يطعمني ويوفر لي مكاناً صغيراً أنام فيه(...) كرهت أبا ذياب، كرهت هؤلاء الذين لا يرتوون من الماء، كرهت النار التي أحملها لأناس متبطلين ليس لهم عمل سوى أن ينقروا على طرف الأركيلة » [1]، "إلياس" كان يعاني بصمت، لما كان يعانيه من قمع وإذلال وقسوة وهذا ما زاد عدائه وكرهه لهذا المكان.

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 64.

وفي يوم من الأيام يقرر " إلياس" مغادرة المقهى، لأنه لم يعد يحتمل معاملة الناس وكذا معاملة صاحب المقهى، وكذلك من أجل أن يكون حراً، لأن شخصيات "منيف" دائمة البحث عن الحرية والتغيير، غير أنها تظل تقبع تحت وطأة السلطة مهما حاولت الخروج والانفلات منها "فإلياس" بعد مغادرته المقهى يعيش حياة قاسية وصعبة في المدينة ولا يجد أي عمل آخر، ومن أجل ألا يموت جوعاً يجد نفسه يعود إلى المقهى مرة أخرى ليعمل فيه كماسح للأحذية.

هـ-السجن:

السجن فضاء مغلق وضيق، يقيم فيه الإنسان مجبراً، ولا يسمح له بالخروج منه، لذلك فهو مكان معادي بالنسبة لأي شخص لما يجمعه من الدلالات السلبية (الوحشة، الموت، العذاب، الظلمة...)، كما أن الحرية في السجون غير موجودة لأنه من "أماكن الإقامة الإجبارية" التي يكون فيها الإنسان مجبراً ومكرهًا على البقاء فيها.

نجد "منيف" في الرواية يوظف السجن توظيفًا حقيقياً، وكذلك يوظفه توظيفا غير حقيقي يقول: الوطن سجن، الجامعة سجن، الطيبة قفص كبير.... إلى غير ذلك من الأماكن التي يعطيها مدلول السجن، لكن نجد الوطن مقترناً بفضاء السجن في عدة صفحات من الرواية، لأن الوطن بالنسبة " لعبد الرحمن منيف" هو سجن كبير وترك شخصياته لتعبر عن رأيه بكل حرية، غير أنه لم يحدد أي وطن، وهنا يقصد الوطن العربي ككل.

شخصيات "منيف" "منصور عبد السلام" بطل الرواية "وإلياس نخلة" تشابهت حياتهما كثيراً، فكلاهما عاش حياة بائسة، في فضاءات السجون والمعتقلات في الوطن كالجامعة، القرية، المقهى...إلى غير ذلك من الفضاءات التي اعتبرتها الشخصيات بمثابة السجن، كما قد عاش "منصور عبد السلام" "وإلياس نخلة" سجناً حقيقياً.

" فمنصور" سجن بسبب أفكاره التي اعتبرت أفكاراً خطيرة، وانتهت به إلى السجن هذا الفضاء المغلق عانى فيه "منصور" من الغربة والوحدة، علماً أنه مكان تتضاعف فيه غربة الإنسان عن وطنه وأرضه، فتصبح الذات تعيش كأنها في منفى بين أربعة جدران " فمنصور" كان يتعذب ويتألم نفسياً يقول: «كان يصيبني (...) غم لا أعرف كيف أقاومه(...) لماذا نحن موجودون هنا؟ هل فعلنا شيئا نستحق من أجله أن نسجن؟ » .[1]

ولم يكن يعاني من العذاب النفسي فقط، بل حتى جسدياً إذ أنه كان محروماً من الراحة والنوم لشدة ضيق المكان، " فمنيف" يصور لنا هذا السجن مكاناً ضيقاً يعاني فيه "منصور" مسلوباً من أبسط حقوقه، كحق "النوم" وحق "التنفس" يقول: «كنا نتناوب الحراسة كل ساعة حارس، من أجل أن نتنفس، ومن أجل أن نفسح مكاناً لإنسان ينام » .[2]

كذلك " إلياس نخلة" سُجن لمدة ثلاثة أيام دون سبب، ودون أية جريمة، فبمجرد رؤيتهم لدماء على وجهه وملابسه أعتقل مباشرةً، ودون أية سؤال، واعتبر مجرماً وقاتلاً غير أن هذه الثلاثة أيام كانت أبشع أيام " إلياس" لما كان يعانيه وخصوصاً بعد فقدانه لزوجته "حنة"، فأضحى السجن مكاناً معاديًا يحس فيه "إلياس" بالكراهية، والوحشة والعذاب.... إلى غير ذلك من معاني الغربة.

ولشدة عدائية هذا المكان حاول الانتحار عدة مرات، لأنه كان يائساً من هذه الحياة فالسجن مكان معادي بالنسبة " لمنصور" وكذلك " لإلياس" اللذان عانى من الوحدة والغربة، العذاب النفسي، " فمنيف" يقدم السجن كفضاء مغلق يحد من حرية " إلياس" "ومنصور"، ويتذوقان فيه أعلى درجات القيد والقمع والاضطهاد، ومن «أبرز تجليات

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص211.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

القمع تغيب الآخر مادياً أو معنوياً من خلال الاغتيال، أو تكميم فمه وأيضا من خلال حصاره مادياً ونفسياً بسجنه» . [1]

تكرر السجن كثيراً في الرواية، حتى أضحى هذا الفضاء المعادي هو المسيطر على جل فضاءات الرواية، وهذا يعكس نظرة "منيف" على أن الوطن العربي سجون ومنافي يتعذب فيها الإنسان.

و-الفرن:

هو مكان عمل فيه "إلياس" يحضر أرغفة الخبز، فبعد تركه للأرض والأشجار التي انتزعت منه، قرر فتح فرن في "الطيبة"، وكان أول فرن فيها، لكنه لم يلق نجاحًا فيه ،لأن أهل قريته لم يشتروا منه ، وكانوا دائما يسخرون منه، وهذا ما دفع "إلياس" إلى تركه الفرن، وبعد رحلاته الطويلة عاد إلى " الطيبة " مرة أخرى واشتغل في الفرن وكان اسم صاحبه "المعلم صالح" ،عمل " إلياس" في الفرن مدة تسعة أشهر، وفي بداية عمله أحس بألفة مع المكان، لكن ما إن وصل الربيع حتى بدأت الأفكار تجتاحه عن الأشجار وتسيطر على فكره، فيقول: «من ينظر إلى البراعم عندما تتفتح؟ من سيقف في وجه الريح حتى لا تسقط الثمر؟ من سيحدث الأشجار الصغيرة لكي تقوى وتكبر؟ » . [2]

نجد "منيف" يقدم الفرن على أنه مكان أليف، لكن هذه النظرة تتغير ليصبح هذا الفضاء مغلقًا معاديًا، يضيق على " إلياس" لأن شوقه وحنينه إلى الأشجار والأرض أصبح يعذبه، فأضحى الفرن مكاناً معاديًا يحد من حريته ويمنعه من تحقيق رغبته في رؤية الأشجار، وأصبح كل شيء في الفرن رائحة الخشب، النار في الموقد يذكره بها، لكن " إلياس" كان يكتم هذا الحنين والشوق في قلبه، لأنه مجّبر على البقاء في الفرن والعمل فيه، من أجل إطعام زوجته وأولاده.

(1) صالح ولعة، عبد الرحمن منيف الرؤية والأداة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2009م ص75.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص155.

لكن ما إن فتح أخ زوجته فرناً آخر في " الطيبة "، حتى تغيرت معاملة صاحب الفرن، وأصبح يعامله بقسوة شديدة، وإذا احترق رغيف واحدٌ، يقول له إنك فعلت هذا عمداً، فزادت عدائية "إلياس"، وكرهه لهذا المكان يقول: «أصبح الفرن جحيماً أصبحت الأرغفة تعجن بالسأم، وأصبحت نظرات المعلم صالح ثقيلة متهمة » [1] ، فلشدة عدائه وكرهه يسمي الفرن جحيماً، وأصبح مكاناً ضيقاً معاديًا لا يطيقه "إلياس" لذلك قرر مغادرته.

ز-الفندق:

هو مكان للرّاحة والاستجمام، ويقصده الإنسان لتقضية مدة من الزمن، مع توفر حاجات الإنسان اليومية (طعام، ونظافة...) إلى غير ذلك، مقابل مبلغ من المال غير أن منيف يقدم الفندق بشكل آخر ليصبح فضاءً معاديًا في الرواية.

الفندق هو مكان عمل فيه "إلياس" "مضيفاً" وكان اسم الفندق "نزل السعادة" وكان مجبراً أن يكون مبتسمًا وعلامات السعادة بادية على وجهه، لكنه كان عكس ذلك متجهما كالح الوجه، إذ يقول: «مثل كل مرة، أوهم نفسي بالراحة، أضغط على هذا الصدر لئلا يتمزق(...) كن عاقلا، لم تعد فرداً واحداً كما كنت من قبل يجب أن تفكر بالآخرين وتترك نفسك» .[2]

"فإلياس" كان يعمل في الفندق مجبراً ، لأنه لم يجد عملاً غيره، وعلى الإنسان أن يعمل من أجل تأمين لقمة عيشه، لكن الفندق كان فضاءً معاديًا "لإلياس" يحد من حريته، فلم يكن يتحرك وفق رغباته، بل كان مجبراً على تلبية طلبات الآخرين "الزوار"، فكان ما إن يرن الجرس حتى يذهب بسرعة إلى الغرف لتقديم الماء أو القهوة... وإلى غير ذلك من الطلبات ، كان "إلياس" مسلوب الحرية في هذا المكان

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص157.

(2) المصدر نفسه، ص159.

حتى أبسط حقوقه كان محروماً منها، كحق "النوم" مثلاً ، ولم تعد لديه أي سلطة على نفسه يقول : « أصعب شيء ألا يملك الإنسان نفسه » . [1]

" فإلياس" كان يعاني من اللاحرية على الرغم من شاسعة الفندق، إلا أنه في عيون "إلياس" مكان ضيق يحد من حريته، لذلك لم يشعر بالألفة والراحة التي يشعر بها غيره في هذا المكان المتسع، فشكلت في نفسيته حالة حصار داخلي المتمثل في شعوره باللاحرية، والضيق، والقيد والتوتر، فأصبح الفندق مكاناً معاديًا بالنسبة "لإلياس" لأن الإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعيش محروماً من الحرية لأن «الاعتداء على الحرية نوع من أنواع الظلم» .[2]

لذلك لم يعد "إلياس" يطيق هذا المكان، لأنه فضاء مغلق يحس فيه أنه سجين بين أربعة جدران، فقرر مغادرته والابتعاد عنه من أجل حريته التي فقدها.

أما "منصور عبد السلام" وهو بطل الرواية، فلم يعمل في الفندق مثل "إلياس" بل كان زائر له، لما ذهب للعمل خارج البلاد، كان يقصد الفندق من أجل تدوين يومياته لكنه فضاء معادي أحس فيه بالغربة والوحشة، والحنين والشوق إلى وطنه، فكان يجلس وحيداً يتأمل ويفكر في "مرزوق" صديقه الذي اغتيل في وطنه البعيد عنه، فرغم شاسعة الفندق إلا أن "منصور" يراه فضاءً ضيقاً معاديًا، "فمنيف" يصور هذا المكان المتسع كأنه منفى وسجن يعاني فيه "منصور" ويتألم.

ح-الجامعة:

الجامعة هي فضاء للحرية والألفة حيث تجمع عددًا كبيراً من المثقفين من شتى البلدان، وتُكوّن بينهم علاقات مودة وصداقة أما "منيف" فيطرحها كفضاء للاحرية والقيد والعداء، " فمنصور عبد السلام" عمل في الجامعة كأستاذ لمادة التاريخ المعاصر وكانت مدة عمله فيها ثلاثة سنوات، فبعد تخرجه من جامعة بروكسل عاد إلى وطنه ليبدأ

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص160.

(2) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1978م، ص 135.

رحلته في التدريس، ومن أول يوم له في الجامعة بدأ عداؤه لها، لأنه كان يريد أن يدرس التاريخ بدون زيف أو تلفيق من أحد، فالتاريخ بالنسبة " لمنصور" مجموعة من الأكاذيب وكان يرغب في قول الحقيقة ، وإعادة كتابة التاريخ يقول: « اليوم الأول مواجهة الطلبة الحديث عن التاريخ والحقيقة » .[1]

"منصور" اعتبر الجامعة فضاءً للحرية، وأنه يستطيع التعبير عن رأيه فيها، ليكتشف غير ذلك فيقول: « الجامعة في كل الدنيا تحمي الأساتذة وتدافع عن حرياتهم أما هنا » [2]، وهو يقصد بلفظة "هنا" الوطن العربي الذي تكمم فيه الأفواه "فمنيف" يجعل من الجامعة فضاءً للاحرية ومصادرة الرأي، ويعمم هذه النظرة لتشمل الوطن العربي ككل، ويجعله فضاءً للسجون والمعتقلات، وهكذا تصبح الفضاءات المفتوحة والأليفة فضاءات مغلقة ومعادية، لأن « وطنا تنعدم فيه الحرية، وطنا يقضي على النظام بالفوضى والتشويه، ينتهك حرمة القانون، مكرساً سلطة القوة وعنفها، ينتزع من الإنسان إنسانيته » .[3]

أضحت الجامعة مكاناً معاديًا " لمنصور"، وأصبح يراها كالسجن تحد من حريته وتقيده، لأنه كان دائما مراقب في كل كلمة يقولها أو حركة يقوم بها فيقول: «منذ تلك الساعة التي لم تكن ستين دقيقة أبداً، وإنما آلاف الدقائق المشحونة بالأخطار والمتفجرات بدأ يأتي مع ذي النظارات السميكة رجل آخر(...) وكانت عيناه لا تتركاني لحظة واحدة » [4]، أصبح "منصور" دائما محاصر، ومراقب، فلا يستطيع قول ما يشاء أو فعل ما يشاء، وهذا ما زاد من كرهه وعدائه للجامعة ،لأنها لم تكن فضاءً للحرية ولم يحس بالراحة والطمأنينة فيها، بل تراءت له كسجن يحمل كل معاني الوحشة، و العذاب القمع... إلى غير ذلك من المدلولات السلبية التي يحملها فضاء السجن

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص287.

(2) المصدر نفسه، ص 26.

(3) الشريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2010م، ص69.

(4) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص303.

يقول :« سور الجامعة أصبح أقسى عليّ من سور السجن، وأصبحت القاعات الكبيرة الباردة المليئة بالعيون مثل زنزانات » .[1]

لكن "منصور" لم يستمر في الجامعة، لأنه سرح منها وكان خطئه الوحيد رغبته في إعادة كتابة التاريخ، والتصريح برأيه.

"فمنيف" جعل من الجامعة مكاناً معاديًا، وفضاء لمصادرة الرأي، والقمع والوحشية لأن "منيف" يسعى للتعبير عن «قضايا الإنسان العربي، إذ يؤمن هذا المبدع بدور الكلمة في كشف الأنظمة العربية المستبدة وفضحها» .[2]

ط-جنوب التل الكبير:

هو مكان الذي عمل فيه "منصور عبد السلام" مترجما لبعثة الآثار، ويقع هذا المكان في "الجنوب" ،غير أن "منيف" لم يحدد أي جنوب لكنه يقع خارج الحدود العربية، ويطرحه "منيف" في الرواية على أنه مكان معادي ،لأن "منصور عبد السلام" بطل الرواية كان دائم الاشتياق والحنين لوطنه ولأهله، رغم أنه تعرف على شخصيات غربية مثل " لميسيو دونال" و" مارشال" و" راؤول" و" الميسيو ريجي"...إلى غير ذلك من الشخصيات التي جمعته معهم علاقات صداقة ومودة، غير أن هذا الفضاء الواسع البعيد عن وطنه رآه مكانا معاديًا ولد الحنين والشوق في قلبي "منصور" ،لأنه أحس بالغربة والحزن يقول :« إن الحزن كثيف لدرجة أنه يلتصق بجوانب الجسد من الداخل » .[3]

كان هذا الفضاء بالنسبة " لمنصور" مكاناً ضيقاً، أحس فيه بالحزن والكآبة فحاول أن يزرع الأشجار مثل "إلياس نخلة" لتشاركه أحزانه وهمومه، وتكون له دافعا

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص304.

(2) صالح ولعة، عبد الرحمن منيف الرؤية والأداة، ص 1.

(3) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص317.

للحياة، مثلما كانت "لإلياس" لكن طبيعة المنطقة الصحراوية، وندرة المياه لم تسمح له بذلك.

فكان هذا المكان معاديًا شبيهاً بالمنفى، لأن "منصور" بعيدٌ عن وطنه وأهله لذلك أحس بالغربة والوحشة والألم فيصف هذا المكان «الموقع بعيد عن المدينة وكل ما حوله أرض خراب لا تنبت عرقاً أخضر، الأشجار هنا حلم(...) مجموعة خيام وعربة، وسط تلال صفراء، ولا شيء غير ذلك» .[1]

هذا المكان كان فضاءً واسعاً، لكنه بالنسبة " لمنصور" أضحى فضاءً ضيقاً يحد من حريته ويمنعه من رؤية وطنه، مما زاد من شوقه وحنينه فكان "منصور" يتألم في صمت على وطنه، وكان يتساءل عن الأسباب التي يعنف ويضطهد الإنسان لأجلها فيقول: «لماذا يجوع الإنسان في وطنه؟ لماذا يجعلونه يكفر بكل شيء؟ »[2]، كان جنوب التل فضاءً للتفكير والعزلة والتأمل في الوطن، فهذا الأخير الشيء الوحيد الذي يفكر فيه "منصور" ليلاً ونهارًا، رغم ما عاناه في الوطن سرح من الجامعة و حرم من أي عمل آخر، جاع وتشرد في وطنه، لكن هذا الوطن ظل مصقولاً في قلب "منصور" وأحس بالشوق والحنين لوطنه ، و بالوحشة في هذا المكان البعيد عن الوطن.

"منصور" كان مجبراً على البقاء في هذا المكان، لأنه لم يجد أي عمل آخر في وطنه، ومن أجل ألا يموت جوعًا، لأن الإنسان يجب عليه أن يعمل من أجل تأمين لقمة عيشه.

كان "جنوب التل" مكاناً قاسيًا على "منصور"، ومما زاد من قسوة هذا المكان وعدائيته خبر مقتل صديقه "مرزوق" أستاذ الجغرافيا، فزاد حزن "منصور" ألمه أكثر فأصبح أكثر كآبة وحزناً وهو يتذكر صديقه "مرزوق" الذي هو بعيد عنه يقول: «مرزوق الآن ميت، هل له قبر؟ هل دفنه أحد؟ (...) تذكرت كل شيء

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص333.

(2) المصدر نفسه، ص341.

في تلك البقعة من الأرض التي يسمونها الوطن وبكيت» [1]، "منصور" كان حزينًا وتعيسًا في هذا المكان البعيد عن الوطن والأهل، فلم يحس بالألفة والراحة بل كان يعاني من الغربة، والوحشة، والعذاب والضياع النفسي في هذا المكان، لأنه «بنية مكانية مسكونة بالغربة والانعزال والخراب والموت(...) إذ لا يوجد لديه أي مكان فرائحي أو أخضر أو مريح » [2] ، لذلك كان مكاناً معاديًا رغم شاسعته وانفتاحه، لكنه في عيون "منصور" مكان ضيق ومظلم.

"منيف" يقدم "جنوب التل" في الرواية كمكان للمنفى، والغربة الذي تعيشه الشخصية، فرغم ما عانته من عذاب، وقمع، واضطهاد في وطنها، إلا أنها تبقى متمسكة بأصالتها وانتمائها وهويتها لهذا الوطن.

فرؤية "منيف" مفادها أن الإنسان الشرقي يبقى مرتبطاً بوطنه مهما كانت معاناته فيه، إلا أن الوطن يبقى متجذرًا في أعماق النفس وملتصقاً بها لأن طبيعة الفرد الشرقي هكذا.

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 347،348.

(2) حسين المناصرة، القصة القصيرة جدًا رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن 2015م، ص51.

ثانياً: الحرية والمكان في الرواية:

1/فضاء الأنا واللاحرية:

تعددت فضاءات اللاحرية في الرواية التي تعيشها "الأنا"، وهذا يعكس نظرة "منيف"، فمن خلال المكان يحاول "منيف" رسم أبعاد العالم الذي يعيش فيه، وإعطاء وجهة نظره وتصوره للبيئة والمجتمع، ليغدو المكان دالاً يشع بالمدلولات التي يرمي الكاتب إيصالها وشحنها في ذهن المتلقي.

فتوظيف الكاتب لبعض الأمكنة ليس اِعتباطيا، بل يرمي من خلال هذه الأمكنة شحن تصوره وأفكاره، ورؤاه، وهذا ما نجده في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" " لعبد الرحمن منيف" هذا الروائي الفذ الذي استطاع من خلال توظيفه لبعض الأمكنة التي عاشت فيها شخصياته كشف وتعرية بعض الجوانب كالقمع، والاضطهاد، والعنف واللاحرية... إلى غير ذلك، لأن «الرواية الآن هي ديوان الحياة المعاصرة، فهي تستطيع أن تحمل عبر صفحاتها، وفصولها كل خصائص الحياة وسماتها، بل إنني أرى أن الرواية الجيدة قطعة من الحياة» .[1]

وهذا ما نجده في رواية "عبد الرحمن منيف" إذ أنه يعبر عن "الأنا" ويعني بها شخصيتين في الرواية هما "إلياس نخلة" "ومنصور عبد السلام" بطل الرواية الذي تتماهى معهم شخصية الكاتب لتصبح ذاتاً واحد، "ومنيف" يوسع دائرة "الأنا" لتصبح كل فرد في الوطن العربي يعاني من (اللاحرية والقمع والاضطهاد...).

"الأنا" في الرواية تعيش في فضاءات كلها قمع واِضطهاد، وسجن.... إلى غير ذلك من مدلولات اللاحرية في الوطن العربي، كما نجد شخصية "منيف" حاضرة في الرواية إذ يعبر عن رأيه في كثير من مواقف الرواية غير أنه يترك لشخصياته التعبير عن ذلك.

---

(1) أحمد فضل شبلول، الحياة في الرواية قراءات في الرواية العربية والمترجمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر د ط، إسكندرية، مصر، 2001 م، ص5.

ومن فضاءات اللاحرية التي تعيشها "الأنا" نجد " فضاء السلطة" وفضاء " القمع ومصادرة الرأي" " وفضاء الحلم والتخيل" التي تعيشها شخصيات "منيف"، و التي تلجأ إلى رسم عالم خاص بها معزول عن العالم الذي تعيشه، انطلاقاً من أحلامها وتخيلاتها لأنها تعيش حالة من اللاحرية، وكان المكان أكبر شاهد على ذلك، كما أنهما شخصيتين يحاولان الانعتاق والتحرر من السلطة، فيصور "منيف" هذا الفضاء بكل تفاصيله، ويعبر عن رأيه بكل حرية، على لسان شخصياته، وسنتطرق من خلال "الأنا" للكشف عن هذه الفضاءات، وتمثلها شخصيتين "إلياس نخلة" "ومنصور عبد السلام"، و كما قلنا سالفاً نجد شخصية الكاتب كذلك حاضرة في الرواية، إذ نجد "الأنا" « تحاول الكشف عن رؤية المؤلف للوجود من خلال موقفها الفكري » .[1]

فلأنا في الرواية تعيش في فضاءات كلها سجون ومعتقلات وقمع في فضاءات الوطن العربي، ويحاول "منيف" تعرية وكشف ذلك، وسنتطرق لذلك من خلال ثلاثة فضاءات وهي: "فضاء السلطة"،" فضاء القمع ومصادرة الرأي" وأخيرا " فضاء الحلم والتخيل".

أ-فضاء السلطة واللاحرية:

تعددت فضاءات هذه الرواية، غير أن جل هذه الفضاءات تقبع فيها السلطة على شخصيات "منيف"، " فمنصور" شخصية مثقفة تحاول إعادة كتابة التاريخ بدون زيف أو تلفيق من أحد، لأن التاريخ بالنسبة " لمنصور" أكذوبة كبيرة عمل الحكام على كتابتها وفق مصالحهم الخاصة، لكنه يجد نفسه في مواجهة مع السلطة لأن «المثقف يرى أنه هو الذي ينتج الوعي، وعليه أن يخرج عن صمته ويقتحم

(1) ينظر، إبراهيم أحمد ملحم، جماليات الأنا في الخطاب الشعري، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2014 م، ص11.

وهو ليس في حاجة إلى إذن من أحد كي يمارس دوره التوعوي ومن هذه النقطة(...) يبدأ اِحتكاكه المباشر بالشأن السياسي » [1].

"فمنصور" بسبب أفكاره وعالمه الداخلي الخاص به يجعل منه إنساناً خطيرًا في نظر السلطة، فتحكم قبضتها عليه، فيسرح من الجامعة، ويراقب في كل قول أو فعل يقوم به، وتغلق كل الأبواب في وجهه، ولذلك يجد نفسه مجبراً على مغادرة هذا الوطن الذي تحوله السلطة إلى سجن كبير يعاني فيه "منصور"، ويحرم من أبسط حقوقه « فالسلطة طرحت مثل الجلاد الذي لا يعرف سوى القمع الطائل كل من يعمل ولا يعمل في السياسية، الجلاد الذي ينتشر كالوباء في كل مكان ويدون كل ما يتعلق بكل شيء ليتمكن من إحكام القبضة على الإنسان » [2]،" فمنصور" لم يعمل في السياسة، لكن كانت عنده أفكار حاول طرحها والبوح بها، لكن السلطة وقفت في وجهه، وجردته من أي حق يمكن للإنسان أن يتمتع به، فأصبحت "الأنا" تعيش حالة من اللاحرية في فضاء السلطة.

فالسلطة يطرحها "منيف" بمثابة الجلاد على شخصياته لأن "منصور" اعتبر الجامعة فضاء للحرية وأن باستطاعته طرح أفكاره بكل حرية وقول الحقيقة، لكن السلطة كانت له اليد القابضة ،لأن الجامعة لم تكن كما تصورها "منصور" فيقول : « الجامعة في كل الدنيا تحمي حقوق الأساتذة وتدافع عن حرياتهم أما هنا» [3]، وهو يقصد بهنا الوطن العربي، " فمنيف" يرى بأن الوطن العربي ككل يقبع تحت وطأة السلطة سواء أكانت " سلطة مباشرة "؛ أي الحكومة ،أو "سلطة غير مباشرة " كسلطة الشعب أي سلطة الغني على الفقير أو سلطة القوي على الضعيف.

---

(1) محمود محمد املودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الرواية الليبية أنموذجاً دراسة في النقد الثقافي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2010م، ص52.

(2) صبحي الطعان، عالم عبد الرحمن منيف الروائي، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، د ب، 1995م، ص95.

(3) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص26.

نجد "منيف" يطرح في روايته سلطتين "سلطة الحكومة" التي واجهها "منصور عبد السلام" ودفعت به إلى مغادرة الوطن، لأنه لم يجد أي منفذ سوى الهروب من هذا الوطن الذي يتحول كله إلى فضاءات سلطوية «كانوا يريدون أن يدفنوه وهو حي، بعد أن سرح من العمل، قالوا لكل الذين فكروا يوما أن يساعدوه في عمل آخر: سوف يأتي دوركم، ولن تكون الأمور كما تتصورون(...) عندما تفكرون أن تنقذوه من القدر الذي تريده له الدولة» .[1]

تتحول كل فضاءات الوطن العربي إلى فضاءات تقبع فيها السلطة وتحتكم قبضتها وسيطرتها على "منصور"، الذي يصبح يعاني من اللاحرية في أبسط حق من حقوقه ليجد نفسه مهزومًا ولا يستطيع فعل شيء لمواجهة هذه السلطة، لأنها تتسلح بكل أدوات القمع، أما " منصور" فإنسان مثقف لا يتسلح بأية سلاح سوى بأفكاره، وهذه الأفكار تجعل منه إنسانا خطيراً وملاحقاً من طرف السلطة، ومنبوذاً من المجتمع.

"فمنيف" يطرح لنا صورة الحرية في الوطن العربي تقررها وتتحكمُ فيها السلطة ومن يقف في وجهها يعاني ما عاناه "منصور عبد السلام" من قمع، وإذلال، واضطهاد ليصبح هذا الوطن فضاء للسجن، وما السلطة سوى جلاد في ذلك السجن.

أما السلطة الثانية التي يطرحها "منيف" في روايته هي السلطة " الغير مباشرة" التي يمثلها الشعب؛ أي سلطة الغني على الفقير، أو سلطة القوي على الضعيف، ونجد "إلياس نخلة" خير مثال على ذلك، إذ نجده الشخصية الثانية التي تحتكم السلطة عليها، غير أنها سلطة من نوع آخر سلطة الأغنياء على الفقراء، أو سلطة أصحاب العمل على أجرائهم.

عمل " إلياس" عدة أعمال، غير أنها كانت في فضاءات سلطوية تحد من حريته فقد عمل في المقهى وكان اسم صاحبه " أبا ذياب" الذي تصوره الرواية بمثابة الجلاد على "إلياس"، فكان يتآمر عليه ولا يسمح له بالراحة دقيقة واحدة، كما أنه في هذا

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص176، 177.

الفضاء كان يتعرض للذل والإهانة، وللشتم بأبشع الصفات، ولا يحق له قول كلمة واحدة لأن " أبا ذياب" كان بالنسبة " لإلياس" يمثل سلطة ولا يحق له قول كلمة واحدة.

فالرواية جد قريبة من الحقيقة، إذ أنها تشير إلى سلطة وتسلط الأغنياء على الفقراء واستغلالهم للفقير الذي يكون في حاجة ماسة للعمل من أجل تأمين لقمة عيشه، وكان فضاء المقهى أكبر شاهد على ذلك ، وعلى معاملة وتسلط الأغنياء على الفقراء لذلك كانت نظرتهم « على قدر كبير من العدائية والاشمئزاز على السواء إنهم ينظرون للفقير كأنه حشرة مفزعة » [1] ، ويعامل الإنسان الفقير من قبل السلطة التي يمثلها الأغنياء على أنه إنسان ضعيف لا حول ولا قوة له، وخير مثال على ذلك " إلياس نخلة" الذي حرم من أبسط حقوقه في الأماكن التي عمل فيها الفندق الحمام، الفرن المقهى...إلى غير ذلك من الأماكن التي عمل فيها في رحلته الطويلة القاسية، بحيث تشابهت هذه الفضاءات من حيث إحكام قبضتها عليه؛ أي من حيث السلطة.

غير أن "إلياس" كان مجبراً على الرضوخ والانصياع لهذه السلطة، من أجل تأمين لقمة عيشه، لكنه صبر وتحمل فلم يعد باستطاعته ذلك، لأن الإنسان مفطور بحبه للحرية ولا يستطيع العيش بدونها يقول: "إلياس" مخاطبًا صاحب المقهى «أنت حيوان مفترس تماماً كالضبع، لأنك لا تحس بألم الفقراء »[2]، كانت هذه السلطة بمثابة الجلاد والسجان على "إلياس" إذ أنها تحد من حريته وتقيده.

"منيف" يصور لنا الفضاء في الوطن العربي، على أنه فضاءات سلطوية ولا تكون السلطة محصورة فقط بالحكومة، بل حتى الشعب يمارس هذه السلطة، لتصبح هاهنا هي سلطة كل قوي على من أضعف منه، فكل قوي يحاول إحكام قبضته

(1) صالح إبراهيم، أزمة الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2004 م، ص32.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص65.

على من أقل منه منزلة ليصبح فضاء الوطن العربي ككل سيطرة الأغنياء وذوي النفوذ على الفقراء.

ب-فضاء القمع ومصادرة الرأي:

القمع ظاهرة متفشية في الوطن العربي، ولا نقصد هاهنا القمع المادي الجسدي فقط من تعنيف، وتعذيب جسدي فقط، بل حتى القمع النفسي من ظلم، وتكميم للأفواه...وإلى غير ذلك الذي يصبح في بعض الأحيان أشد تعذيباً من القمع الجسدي وهذا ما نجده في الرواية، إذ أن "منيف" يجعل القمع النفسي أشد تعذيباً.

وهذا ما يطرحه "منيف" في روايته، وتمثلها شخصيتين هما "إلياس نخلة" "ومنصور عبد السلام" بطل الرواية، اللذين يلتقيان داخل عربة القطار من الدرجة الثانية لتبدأ رحلة الذكريات في فضاءات القمع، ومصادرة الرأي لتكون البداية مع "إلياس" الإنسان البسيط الذي يحب أرضه وأشجاره، إذ نجد القسم الأول من الرواية يصور هذه الحياة، و يقوم "إلياس" بعرض شريط حياته على " منصور"، وماهي إلا ذكريات تصور حياة كادح بسيط يعمل في أرض مشجرة ، ليجد نفسه في يوم من الأيام خارج هذه الأرض وخارج بلدته، لتبدأ رحلته في فضاءات القمع والضياع النفسي، وعنف واضطهاد واللاحرية.

"فمنيف" يصور لنا حياة الشقاء في الوطن العربي «لأن اختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً في بناء الشخصية البشرية(...) فالذات البشرية لم تكتمل داخل حدود ذاتها لكنها تنبسط خارج هذه الحدود »[1]، فالمكان إذن يكشف لنا عن طبيعة الشخصية ومن هذا المنطلق " فإلياس" إنسان بسيط يحب أرضه وأشجاره إلى أقصى الحدود وكان متمسك بها، إذ أنها تعني له الماضي، والحاضر، والمستقبل ويعتبرها روحه وحياته وكان مولع بها وبأشجارها، حتى غدت هذه الأخيرة جزءاً من ذاته.

(1) بان صلاح البنا، الفواعل السردية، ص25، 26.

وبفقدان "إلياس" أشجاره أضحت " الطيبة " مكاناً ضيقاً و معاديًا ،لأن الأشجار كانت الأم الحنون في عيون " إلياس" التي تمنح له الدفء والحنان، وعندما تغير المكان و غزاه العنف، أصبح "إلياس" معذبًا ومتألمًا، ويحس بالضياع النفسي لأنه فقد حنان وعطف أمه عليه وصار يتيماً ووحيداً في هذه الحياة، فيقول: " إلياس" عن قريته التي اجتاحها العنف والدمار« إن بلدة لا تنبت فيها الأشجار لا يمكن أن يعيش فيها الإنسان، والطيبة التي كانت يوماً خضراء مثل عرق النعناع، تحولت اليوم إلى مقبرة إلى أرض غبراء ، و لا أطيق أن أعيش فيها يوما واحداً » .[1]

حاول " إلياس" عديداً من المرات الوقوف في وجه العنف والاضطهاد الذي يجتاح المكان، لكنه لم يستطع فعل شيء، ولم يستطع الحفاظ على هوية الطيبة؛ أي أشجارها التي اغتيلت وقطعت دون شفقة أو رحمة، " فإلياس" كان يرى الأشجار إنسانًا يحس ويتألم مثلها مثل البشر يقول: «حلمت بتلك الشجرة في نفس الليلة التي لعبنا، بدت لي تتألم وتبكي(...) تألمت قلت لن يصبح الصباح حتى أذهب للرجال وأقول لهم: سأدفع لكم ما تريدون مقابل الأشجار التي خسرتها» .[2]

" فإلياس" أصبح تعيساً ومعذبًا بعد اجتياح الدمار والخراب والموت قريته وأرضه وما زاد من عذابه أنه طلب وترجى أهل قريته عدم قطع الأشجار، لكنهم أبوا ورفضوا ذلك ولم يهتموا لرأيه ،حتى أشجاره لم يستطع حمايتها لأن يد العنف والقمع طالتها هي كذلك ليبقى " إلياس" وحيداً يعيش حالة من الحرمان والفراغ النفسي ، التي لم يستطع تعويضها بأي شيء آخر يقول: " إلياس" وهو يسأل نفسه « ماذا استفاد أهل الطيبة عندما قطعوا أشجار إلياس و جعلوه تعيساً هكذا » [3] فضاء "الطيبة" كان فضاء للقمع والعنف والاضطهاد بالنسبة " لإلياس" حتى حقه الطبيعي سلب منه ، وأصبح محرومًا من أشجاره التي اغتيلت، على الرغم من أنه كان مالكها وصاحبها ، إلا أنه لم يستطع

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص57.

(2) المصدر نفسه، ص49.

(3) المصدر نفسه ،53.

الصمود أمام أهل قريته ليصبح هذا الفضاء تنعدم فيه الحرية تماماً سواء في القول أو الفعل، لأن القمع والعنف يغزوه.

يجعل "منيف" من الأشجار إنساناً ويصورها في الرواية كيف اغتيلت، وقطعت دون أية شفقة أو رحمة من أحد، سوى " إلياس" الذي كان يحس بها وأراد الحفاظ عليها لكن يد القمع طالت حتى أشجاره، فاغتيلت ورأيه لم يأخذ به لأن سكان قريته رفضوا سماعه، وسخروا منه.

" فمنيف" يصور لنا حياة شقاء إنسان يحب أرضه، وأشجاره إلى أقصى الحدود لكنه يحرم منها، لتبدأ رحلة الشقاء والعذاب والقهر، فيجعل "منيف" القسم الأول من الرواية يصور لنا هذه الرحلة من بداية شغفه وحبه للأشجار مروراً بفضاءات كلها قمع، وتعذيب، وذل، وإهانة...إلى غير ذلك، غير أن "منيف" يوسع هذه الدائرة لتشمل الوطن العربي ككل لأننا لا نجد تحديد لبلدة " إلياس" فيقول: فقط "الطيبة" علماً أنها توجد في عدت بلدان في الوطن العربي، لكنه لم يحدد هذا المكان أين يقع بالضبط.

يقترب "منيف" من الواقع إذ يصور الحياة الاجتماعية، وما يسودها من قهر وظلم واستبداد واضطهاد، وقمع مثل " إلياس" الذي حاول الحفاظ على أشجاره لكنها تعرضت للعنف والاغتيال، ولم يعيش "إلياس" هذا القمع والظلم فقط في قريته، بل حتى عندما تركها وذهب إلى المدينة من أجل تأمين لقمة عيشه ، وجد نفسه في فضاءات كلها قمع وعنف، فكان ينتقل من عمل لآخر، غير أن هذه الأعمال كلها كانت في فضاءات تحد من حريته، وتجعله يشعر اتجاهها بالعداء والنفور، فكلما ازداد المكان تضيقاً وقمعاً " لإلياس" يبحث عن عمل آخر في مكان آخر، لكن شيء لم يتغير يبقى دائما يعيش حالة من الاضطهاد والحرمان في أبسط حقوقه، فعمل في الحمام والمقهى والفرن كما عمل أعمال أخرى ، غير أن هذه الثلاثة فضاءات كانت أشد تضيقاً وكبتاً على " إلياس"، فكان ينتقل بين هذه الأماكن أثناء رحلته القاسية بحثاً عن عمل يمنح

له بعضًا من الحرية ،لأن « وجودها مركوزة في نفس الإنسان » [1] ولا يستطيع الاستغناء عنها، غير أن " إلياس" يجد نفسه محروماً منها فالأعمال التي عملها تحد من حريته وتقيده، وهذا ما يزيد من عنف المكان وقسوته عليه يقول: « كنت أنزل إلى القبو الذي يشبه الجحيم، وأظل هناك الساعات الطوال ألقي الحطب في الموقد (...) كنت قابعاً في ذلك الجحر مثل خلد أجرب، ألقي الحطب دون توقف » .[2]

فلدرجة قسوة المكان عليه أطلق عليه اسم الجحيم، لأنه كان يتعذب ويحترق في ذلك المكان المظلم، فكان محروماً حتى من رؤيته لضوء الشمس، إذ كان في ذلك المكان يتخيل الحطب أشجار " الطيبة "، وظل قمع المكان عليه أكثر من سنة لكنه لم يعد يستطيع تحمل ذلك إذ يقول: «شعرت أن روحي تحوم فوق صدري خرجت فوراً (...) لم أعد أطيق الحياة تحت الأرض، أريد أن أرى الشمس والأشجار أريد أن أعيش فوق الأرض» .[3]

كان الحمام فضاءً قاسيًا على "إلياس"، ولدرجة قسوته لم يعد يطيق الاستمرار والبقاء في هذا المكان، فقرر البحث عن عمل آخر فعمل في المقهى، لكن هذا الفضاء كان أشد قسوة من الحمام، فقد انعدمت الحرية فيه؛ إذ حرم من حقه في الكلام، كان فقط عليه العمل دون مناقشة أو اعتراض، رغم ما كان يتعرض له كل يوم من صاحب المقهى " أبا ذياب" من إهانات وذل، لكنه كان لا يستطيع الرد عليه لأنه كان مجبراً على الاستمرار في العمل من أجل تأمين لقمة عيشه، فالمقهى كان فضاء قاسياً على "إلياس".

---

(1) أحمد يوسف، علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، المغرب 2013 م، ص60.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص61.

(3) المصدر نفسه، ص 62.

أما بالنسبة للفرن فقد عمل " إلياس" فيه وكان اسم صاحبه "المعلم صالح" في بداية عمله كان يعامله معاملة حسنة، لكن سرعان ما تغير ذلك، عندما فتح " أخ زوجته" " أدمة " فرنًا أخر في "الطيبة" فأصبح يعامله بقسوة، وكان يتعرض للإهانات، حتى أضحى هذا الفضاء أشد قسوةً وقمعاً "لإلياس" إذ يقول: «أصبح الفرن جحيماً، أصبحت الأرغفة تعجن بالسأم، وأصبحت نظرات المعلم صالح ثقيلة متهمة» [1] لم يستطع "إلياس" تحمل ذلك ،لأن معاملة صاحب الفرن له جعلت من هذا الفضاء فضاءً قاسياً عنيفاً عليه، كما أن الحرية تنعدم بسبب معاملة المعلم صالح له، لذلك قرر ترك هذا العمل ليعود " إلياس" إنساناً عاطلاً عن العمل.

فالفضاءات التي مر بها " إلياس" كانت كلها قمع وتعذيب واللاحرية، وهذا ما دفعه للبحث عن فضاءات أخرى تكون أقل قسوة من الفضاءات التي عاشها في وطنه، لذلك هو مسافر في القطار لبداية رحلة جديدة خارج الوطن.

أما "منصور عبد السلام" فقد عانى في وطنه وأصبح يعني له الحزن، والقمع والذل، والأسى، وكبت الحرية، والسجن، فلم يستطع " منصور" العيش في هذا الفضاء لذلك قرر مغادرته، إذ يقول: «ما هو الوطن؟ الأرض، التلال الجرداء؟ العيون القاسية التي ينصهر منها الحقد والرصاص وكلمات السخرية؟ الوطن أن يجوع الإنسان» .[2]

وطن "منصور" كان فضاءً قاسياً عليه، لأنه عانى فيه، فقد سرح من الجامعة لأنه أراد أن يدرس التاريخ بدون أكاذيب ويقول الحقيقة، لأن التاريخ بالنسبة إليه كان أكذوبة كبيرة طالها الزيف والتحريف، أي تحريف الحقائق من أجل خدمة مصالح الحكام «كان المكان ومازال محوراً رئيسياً في إبراز هوية الشخصية بأبعادها البيولوجية والاجتماعية والثقافية، فهو يكتسب دلالاته استناداً إلى الشخصية التي تستوطن

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص157.

(2) المصدر نفسه، ص22.

أحيازه »[1]، إذ نجد "منصور عبد السلام" يكشف فضاءات الوطن، وما يسودها من اللاحرية وعنف وقمع....إلى غير ذلك.

"فمنصور" أراد كتابة التاريخ من جديد، واعتبر الجامعة فضاءً مناسباً لذلك، لأنه اعتبرها فضاء للحرية، لكنه وجد عكس ذلك لتكون فضاءً للاحرية والقمع ومصادرة الرأي إذ يقول: «الجامعة في كل الدنيا تحمي الأساتذة، تدافع عن حرياتهم أما هنا»[2] فقد حُرم "منصور" من التدريس، وتحقيق رغبته بإعادة كتابة التاريخ، لأن رأيه قمع و يقصد بلفظة "هنا" الوطن العربي، لأن " منيف" يحاول تعرية وكشف فضاءاته حيث يجعل من الجامعة هذا الفضاء الذي يعني الحرية، أما في الرواية فيطرحها عكس ذلك.

"منصور" أراد إعادة كتابة التاريخ غير أنه يجد نفسه مسرح من الجامعة، ومراقب في كل قول أو فعل يقوم به، فيصبح مقيداً محروماً من حريته يعاني من القمع والاستبداد والظلم، فبعد تسريحه من الجامعة يبدأ في البحث عن عمل آخر، لكن يحرم من هذا الحق، ليصبح في الوطن إنساناً بطالاً ومنبوذاً من طرف مجتمعه الذي ينتمي إليه، " فمنصور" في فضاء الوطن رأيه صودر وقمع وحرم من أبسط حقوقه، حتى حق العمل من أجل تأمين لقمة عيشه من أجل ألا يموت جوعاً سلب منه.

" فمنيف" يصور الوطن العربي كفضاء لمصادرة الرأي، والقمع، والاضطهاد الذي تمارسه السلطة على الشعب، ولذلك "منصور" لم يعد يستطيع تحمل هذا الفضاء وقرر مغادرته للبحث عن فضاءات أخرى تمنح له الحرية.

---

(1) وليد شاكر نعسان، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ط1، دمشق، 2014م، ص13

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص26

ج-فضاء الحلم والتخيل:

فضاء الحلم والتخيل هو الفضاء الذي تتخيله الشخصية وترغب في العيش فيه، رغم أنه غير موجود في الواقع، لذلك تلجأ إلى مخيلتها من أجل بنائه ويصطلح عليه" ياسين النصير" بتسميته المكان المفترض(*)

نجد هذا الفضاء موجوداً وحاضراً بقوة في الرواية، إذ أن شخصيات "منيف" لا تعيش واقعها المكاني الحاضر، بل ترجع إلى فضاءات الماضي وكذلك تحلم في العيش في فضاءات أخرى غير الفضاءات التي تعيشها، لما تعانيه في واقعها من اللاحرية، وكذلك تلجأ إلى هذه الفضاءات من أجل تحقيق حريتها ورغباتها أو لنقل فردوسيها المفقود، وهذا ما يعكس لنا نظرة وحلم" منيف" في تحقيق فردوسيه، ويترك لشخصياته التعبير عن هذا الحلم المفقود في الواقع.

كما أن حلم شخصيات "منيف" هو " البيت" والعيش فيه بسلام دون تدخلات من أحد، وممارسة نشاطاتهم في هذه الحياة من دون قمع أو ظلم أو اضطهاد لذلك يقول: " إلياس"« لماذا يكره الناس بعضهم ولكن لم أجد جواباً، قلت لنفسي ذات مرة: ماذا استفاد أهل الطيبة عندما قطعوا أشجار إلياس وجعلوه تعيسا هكذا» . (1)

فحلم "منصور عبد السلام" "وإلياس نخلة " في الرواية كان بيتاً في الوطن، لأنه مكان الألفة ومركز الذكريات، لذلك نجد " إلياس" كلما ابتعد عن قريته وأشجاره يظل يسترجع ذكرياته وتظل الأشجار تسكن عقله وقلبه، ويظل يسترجعها ويحلم بها.

" فإلياس" كان يحلم ببيته وأشجاره ويظل يشده الشوق والحنين لذلك، لكنه لم يستطع إيجاد مأواه وتشتت وضاع في فضاءات الواقع، لكنه بنا بيتاً وأحاطه بالأشجار في مخيلته " فإلياس" يلجأ إلى الحلم هروباً من الواقع فيقول: « هذا الشيء الوحيد الذي يخفف

(*) المكان المفترض هو المكان التي تتشكل أجزاؤه وفق منظور مفترض وقد يستمد بعض خصائصه من الواقع غير أنه ابن المخيلة البحتة.

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص53.

من عذاب هذه الحياة(...) لولا الحلم لما تمكّنت من الحياة لحظة واحدة »[1]، فالإنسان عندما يحرم من تحقيق رغباته في هذه الحياة يلجأ إلى الأحلام والتخيلات من أجل إشباع رغباته، فالحلم والتخيل إذن يمنح بعضاً من الحرية لشخصيات "منيف"، لأنها شخصيات مضطهدة وتعاني من الظلم والقمع و واللاحرية في فضاءات الواقع ، لذلك تلجأ إلى الحلم والتخيل من أجل حريتها التي فقدتها « لتنتقل الشدة النفسية للأفكار والتصورات التي هي موضوع الحلم لتتلبس أفكاراً وتصورات أخرى »[2]، لذلك "إلياس" تخيل أن له بيت وأشجار وأنه يعتني بها، ويحميها فعاش هذا الحلم، وتفاعل معه، لأن شخصيات "منيف" شخصيات مضطهدة ومعنفة تلجأ إلى أحلامها وتخيلاتها لتعيش فيها بعضا من الحرية التي فقدتها.

أما "منصور عبد السلام" بطل الرواية، فكان الوطن هويته وانتمائه الذي حاول أن يعبر فيه عن أفكاره، لكنه يجد نفسه خارجه، ويصبح هذا الوطن يعيش في مخيلته لكنه كان ناقماً عليه، لأنه كان موسوماً بالظلم، والقمع، والاضطهاد، فأضحى بيت "منصور"؛ أي الوطن لأن " منيف" يجعل بيت " منصور" هو الوطن لأنه يوسع المدى ليشمل الوطن العربي ككل، إذ يجعله سجناً مغلقاً يضيق على "منصور" بدل من أن يأويهم ويحميهم.

تشابهت تجربة " إلياس نخلة" مع تجربة " منصور عبد السلام" مع هذا البيت أي الوطن والمأوى، " فإلياس" فقد بيته بعد اغتيال أشجاره فابتعد عن بلدته "الطيبة" التي كانت تعني له الانتماء والهوية ، و التي اعتبرها أمه الحنون التي تمنح له الدفء والعطف والحنان، لذلك ظل يقبع هذا المكان في ذاكرته لما حمله من معاني الارتباط والألفة، فظل ملتصقًا بذاكرته، وعند ابتعاده عن أشجاره و "طيبته" ظل يحن إليها ويشتاق لرؤيتها يقول:« كنت في الجبل أستغرق في التفكير والحزن، لكن منظر الأشجار

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 126.

(2) سيغموند فرويد، الحلم وتأويله، تر جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، بيروت، لبنان 1982م، ص33.

لم يفارقني لحظة واحدة كنت أفكر فيها ليل نهار (...) أتصورها تداعب الرياح تحتضن العصافير، أتصورها أيام الربيع تتفجر بالزهر، وأيام الصيف تتفجر بالثمر »[1] "فإلياس" لأنه حرم من هذا الفضاء راح يتخيله في كل فصول السنة، وذهب أبعد من ذلك، إذ أنه كان يحلم بأن ترجع " الطيبة" كما كانت مغطاة بالأشجار؛ أي أنه يحلم برؤية "طيبة" الماضي عهد آبائه وأجداده.

" فطيبة" الماضي تقبع في خيال " إلياس" وكانت بالنسبة له حلماً جميلاً، وكان دائما يسعى لتحقيقه، حتى جاء يوم ورجع إلى "الطيبة" وغرس أشجاراً، وبدأ حلمه يتحقق ولكن جاء يوم وانتزعت منه أشجاره مرة أخرى، لكن " إلياس" لم يفقد الأمل وظل دائما متمسك بهذا الحلم، ويسعى دائما إلى تحقيقه، لذلك يلجأ إلى فضاء الحلم والتخيل من أجل حريته المفقودة.

أما " منصور عبد السلام" فقد ضاع أمله من الوطن لذلك قرر مغادرته للبحث عن فضاءات أخرى تمنح له بعضاً من الحرية، لكنه ظل يحلم بوطن آخر يقوم مقام هذا الوطن، لأن الحلم كان المنفذ الوحيد " لمنصور" لتحقيق أمنياته إذ يقول: «لتسر الأشياء كما تريد، ويمكنني أن أستمر بالحلم دون خوف، دون أن يقول أحد كلمة واحدة» .[2]

يطرح "منيف" "الأنا" في الرواية على أنها تعاني من اللاحرية واستلاب لحقوقها لذلك تلجأ إلى أحلامها وتخيلاتها من أجل أن تمنح لنفسها بعضاً من الحرية في وطن طغا القمع والاستبداد والظلم فضاءاته.

فالإنسان بطبعه لما يحرم من شيء ما ولا يجد حريته من أجل تحقيق مراده يظل يحلم بهذا الشيء ويتخيله، وهذا ما يصوره "منيف" في روايته وتمثله شخصيتين

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص51.

(2) المصدر نفسه، ص297.

هما "إلياس نخلة " "ومنصور عبد السلام" التي تلجأ إلى فضاءات تتخيلها وتتوهم أن تعيش فيها، لأنهما يعانيان من اللاحرية التي تتعدم في فضاءاتهما.

2/ فضاء الآخر والحرية

تتطرق الرواية العربية إلى الآخر ونعني به "الغرب"، وذلك بالولوج إلى فضاءاته من أجل رصد حركاته وسكناته، فأضحى الآخر قضية من «قضايا الرواية العربية (...) وقضايا المجتمع العربي(...) عندما انتبه العربي إلى نفسه منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجد نفسه محاطاً بأسئلة لا حصر لها، حول ذاته ووجوده في علاقتهما بالعالم المحيط به، فكانت الدهشة والصدمة الكبرى، وبدأ الإحساس بالتفاوت الكبير بينه وبين الغرب» .[1]

ومن بين القضايا التي تستثار قضية الحرية التي أرقت كثيراً من الباحثين العرب وكان السؤال الذي يتبدى لكثير منهم لماذا يتمتع الآخر بالحرية المطلقة، على عكس البلدان العربية التي تكون فيها الحرية مقيدة؟ لذلك تناولها كثير من الباحثون والشعراء والروائيون، من أجل تحقيق هذه الغاية التي من خلالها يكون الإنسان مبدعاً ومغيراً فالإنسان الحر هو الذي يملك كل معاني الإرادة، ويكون متحكماً في ذاته لا إكراه ولا جبرا من أحد في الفعل أو عدم الفعل، ولكن هذه الحرية لا تعني الخروج عن الأطر المحدد لها؛ أي التزامها وهذا ما تحدث عنه "زكي نجيب محمود محفوظ".

تبقى الحرية ذات معنى واحد، عند جميع شعوب العالم، حتى وإن اختلفت وتنوعت مدلولاتها، لكن تبقى تصب في قالب واحد، وهي أن يكون الإنسان سيد نفسه.

لكن هذا المعنى أي الحرية نجدها تختلف من بلد لآخر، فمثلاً عند الآخر أي الغرب، تختلف كثيراً عن حرية "الأنا"؛ أي البلدان العربية وعلى حد قول: إحسان عبد

(1) سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، المغرب 2012م، ص9.

القدوس «ليس هناك شيء يسمى الحرية، وأكثرنا حرية، هو عبد للمبدئ التي يؤمن بها، وللغرض الذي يسعى إليه، إننا نطالب بالحرية لنضعها في خدمة أغراضنا ». [1]

فالإنسان العربي اِنتبه للتفاوت بينه، وبين الآخر (الغرب) في قضية الحرية، وراح يسأل نفسه عن سبب التفاوت، هل هذا نابع من الفضاءات التي ينتمي إليها كل من الطرفين؟ أو بسبب العادات والتقاليد؟ ... إلى غير ذلك من التساؤلات التي لا حصر لها، التي أرقت كثيراً من الباحثين العرب، وكان السؤال الجوهري لماذا الآخر "الغرب" خلاف "الأنا" "العرب"؟ إذ أنه يتمتع بالحرية، أما الإنسان العربي فعكس ذلك، ولماذا الآخر يعبر عن أفكاره بكل حرية دون خوف، أو تعتيم من أحد أما الإنسان العربي فعكس ذلك؟

وهذه جملة من التساؤلات حاول الأدباء والشعراء الإجابة عنها، إذ نجد الروائيون خاصةً يعبرون عنها، ويسعون لتحقيق الحرية في البلدان العربية، فنجد على سبيل المثال "عبد الرحمن منيف" ،إذ نجده يتطرق لهذه القضية خاصةً في روايته "الأشجار واغتيال مرزوق" محاولاً تعرية وكشف الاختلاف بين الشرق والغرب أي بين "الأنا" "والآخر" إذ نجد القسم الأخير من روايته يتناول هذا الاختلاف ويترك شخصية من شخصياته التعبير عن رأيه، وعقد مقارنة بين "الأنا" العربي "والآخر" الغربي، وسنتطرق في هذا العنصر إلى فضاء الآخر وكيف هذا الآخر يتمتع بالحرية في فضاءاته.

(1) إحسان عبد القدوس، أنا حرة، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، ط2، القاهرة، مصر، د ت، ص 14.

أ/ فضاء العدل والحرية:

يطرح " منيف" في الرواية فضاء الآخر على أنه فضاء للحرية من خلال توفره على قيمة من القيّم ألا وهي العدل، الذي يجعل الناس سواسية لا فرق بين فرد وآخر فكل عليه حقوق وله واجبات التي تتساوى بين الناس؛ أي من دون فروقات فردية.

"عبد الرحمن منيف " يصور الآخر في روايته بعقده جملة من المفارقات بين "الأنا" التي يمثلها "منصور عبد السلام" بطل الرواية، والآخر الذي تمثله " كاترين" ومجموعة من الشخصيات الغربية التي تعرف عليهم في مكان عمله كمترجم في بعثة الآثار أما " كاترين" فتعرف عليها أثناء دراسته الجامعية في بلجيكا.

يمثل فضاء الآخر بالنسبة " لمنصور عبد السلام" فضاءً للعدل الذي يؤدي إلى حرية الفرد؛ لأن العدل قيمة من القيّم الإنسانية التي تجعل الناس سواسية لا فروقات بينهم، وهذا ما وجده " منصور" في فضاء الآخر، ولم يجده في فضائه ؛أي الوطن العربي أين تشيع اللامساواة ، وسلطة الاغنياء على الفقراء ، والقمع والاضطهاد أي أن العدل ينعدم في فضاء الوطن العربي على الرغم من أن هذه القيمة موجودة في ديننا الحنيف وحث الله سبحانه وتعالى بها عباده كقوله : بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ[*]﴾[1].

إلا أن العدل في حقيقة الأمر مفقود في عالمنا العربي؛ حيث يشيع التمييز والتفرقة بين الفقراء والأغنياء، بين الأمراء وعامة الشعب، وهذا ما رصده "منيف" في روايته حيث كشف عن بعض الحقائق الموجودة في عالمنا العربي على لسان شخصية من شخصيات الرواية ، ألا وهو " منصور عبد السلام" الذي اعتبر فضاء الآخر فضاء للعدل والمساواة والحرية؛ أي مكان يزخر بكثير من المدلولات التي فقدها

(*)المقسطين؛ العادلين في الحكم، والقسط هو العدل.

(1) سورة المائدة، الآية [42].

في وطنه، ونحن نعلم أنه «لا قيمة للمكان إلا إذا حدث فيه شيء ما»[1]، لذلك ففضاء الآخر أصبح فضاء لفردوس " منصور" المفقود في وطنه، لأنه كان عكس الفضاء الذي ينتمي إليه؛ أي في العالم العربي الذي قمع فيه، ولم يكن المجتمع منصفاً معه، فقد حرم من وظيفته كمدرس في الجامعة بسبب أنه كان يحمل مجموعة من الأفكار وأراد أن يصرح بها ويدافع عنها، لكنه سُرح من الجامعة، وحُرم من أية وظيفة أخرى سواء الوظائف الحكومية أو غير الحكومية، رغم أنه إنسان مثقف وخريج جامعة غربية لكن لم يتسنى له أي عمل في الوطن، لأن المجتمع لم يكن عادلاً ومنصفاً معه؛ إذ يقول «وحتي الرغبات المشروعة لا أقوى أن أمارسها (...) لا تحاول، نعم لا تحاول، لن تجد وظيفة أخرى، أنت مُسَرَح، أتعرف معنى أن يكون الانسان مُسَرحًا».[2]

" فمنصور" تعذب واضطهد لأنه حُرم من وظيفته كأستاذ، وليس هذا فقط ليصبح إنساناً مشرداً وبطالاً، لأن السلطة لم تكن عادلة معه ، إذ حرمته من وظيفته ثم منعت عنه كل الوظائف والأعمال الأخرى، لذلك أضحى فضاء الوطن فضاءً ضيّقاً يقيد "منصور"، لأنه حُرم من أبسط حقوقه ولم يكن المجتمع منصفًا معه، لذلك وجد فضاء الآخر فضاءً للعدل والحرية والمساواة التي فقدها "منصور" في وطنه، لذلك فقد اختلف فضاء "الأنا" في الرواية عن فضاء الآخر، وهذا يعكس نظرة " منيف" للوطن العربي أين تشيع الفروقات الفردية والتمييز الطبقي، وسلطة الأغنياء والحكام على الفقراء واللامساواة.

كان أول اختلاف يتطرف له " منيف" في الرواية هو في طريقة الحكم، إذ أن الحكام في الوطن العربي لم يكونوا منصفين في حكمهم؛ إذ أنهم يمارسون كل سلطتهم من أجل إرضاخ الشعب لرغباتهم وأوامرهم، ومن يحاول الانفلات من تحت مظلة السلطة

(1) مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2010م، ص 307.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 317.

أو الوقوف في وجهها يكون مصيره كمصير "منصور عبد السلام"، حيث أصبح مغترباً في وطنه، لذلك لجأ إلى فضاء الآخر من أجل حريته وأيضا من أجل أن يعيش حياة كريمة وعادلة.

ويؤكد " منصور عبد السلام" على اختلاف الحكام بين الشرق والغرب، إذ يقول " لكاترين" «الملوك عندنا يا كاترين لا يشبهون ملوككم ابداً، كل رجل عندنا ملك (...) الملوك الصغار عندنا يضربون زوجاتهم، يشدون شعورهن، يصرخون في وجوه الأطفال ويجبرونهم أن يناموا جياعاً» [1].

فالحكام في العالم العربي يختلفون عن الحكام عند الغرب لأنهم غير عادلون وهذا ما يكشفه " منيف" في روايته " فمنصور" لأنه لم يدرس التاريخ كما هو موجود في متون الكتب، وأراد إعادة كتابته من جديد لأنه اعتبره أكذوبة كبيرة عمل الحكام على تزييفها وبسبب هذه الأفكار سُرح من الجامعة، وحُرم من أبسط حقوقه، وأصبح مُراقبًا طوال الوقت.

" فمنيف" يؤكد على الاختلاف الكبير بين الشرق والغرب، بين فضاء العدل والحرية الذي يمثله فضاء " الآخر"، وفضاء اللاعدل واللاحرية الذي يمثله فضاء "الأنا" ففي البلدان العربية تشيع التفرقة بين الناس وكل فرد يسعى إلى السيطرة على من هو أضعف منه، سواء بالقمع الجسدي كالتعذيب والاضطهاد...إلى غير ذلك، سواء بالقمع النفسي كمصادرة الرأي والتهميش... إلى غير ذلك، وهذا ما تطرقنا له سالفاً في فضاء القمع واللاحرية.

" منصور عبد السلام" ويرى فضاء الآخر فضاءً تشيع فيه المساواة والعدل بين الأفراد، لذلك اعتبره الملاذ الوحيد للهروب من فضائه الذي يجعله في الرواية عكس فضاء "الأنا"؛ أي فضاء العدل والمساواة، لذلك اعتبر " منصور" فضاء الآخر هو فضاء

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار اغتيال مرزوق، ص 246.

الحضارة، واعتبر الآخر هو الشيء الجميل، واعتبر "الأنا" أنها تكذب، تؤجل الأعمال وترتشي، حيث يقول: «نكذب، نؤجل أعمال اليوم إلى الغد، نضرب زوجاتنا، ننام بعد الظهر، نطيع القوادين والسماسرة والمشعوذين». (1)

ويرى " منصور عبد السلام" في الانسان العربي أنه شخص كثير الكذب يؤجل أعماله، أما الآخر الغربي فينظر إليه عكس هذه النظرة، ويعتبر فضاء "الأنا" فضاءً ينعدم فيه العدل، إذ يقول: «قد لا يتوفر لي عمل قد أسجن...آلاف الاحتمالات في بلاد الملوك غير المتوجين»(2)، " فمنصور" رغم أنه كان إنسان مثقف ومتحصل على شهادة في الدراسات العليا من جامعة غربية، إلا أنه لم تُمنح له وظيفة في وطنه، بعد أن سُرح من الجامعة من قبل السلطة، و لم يقبل أي شخص آخر بأن يعمل عنده لأنهم يخضعون كلهم لسلطة ، لا يستطيع أي شخص الوقوف في وجهها، مما يؤدي إلى انتفاء العدل في فضاء الوطن العربي، لذلك" فمنصور" بعد فشله في الحصول على عمل من أجل تأمين لقمة عيشه ، لم يجد سوى فضاء الآخر؛ أي الغرب من أجل العمل ، فوجد عملاً كمترجم في بعثة للآثار، ووجده فضاءً للعدل الذي فقده في وطنه، لأنه لم يُنصف وقُمع واضطهد في وطنه، إذ يقول: «لماذا يجوع الانسان في وطنه؟ لماذا يجعلونه يكفر بكل شيء». (3)

" منيف" يرى في فضاء الوطن العربي فضاءً يسوده اللاعدل، اللامساواة إذ أن الإنسان رغم أنه مثقف ومتحصل على شهادات، إلا أنه يجوع ويضطهد ولا تمنح له وظيفة، لأن العدل ينتفي وينعدم في فضاء الوطن العربي، وهذا ما يحاول "منيف" كشفه، لذلك أصبح «من المكونات الأساسية في الخطاب الروائي العربي المعاصر محور

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار اغتيال مرزوق، ص 242.

(2) المصدر نفسه، ص 248.

(3) المصدر نفسه، ص 341.

القمع والقهر الذي يتعرض له المثقفون والأدباء والفنانون (...) وتصوير العرب على أن لهم خصائص منافية للديمقراطية تحت عنوان الاستبداد الشرقي». [1]

كما يصور "منيف" كذلك في روايته أن الغرب متحدين على عكس الإنسان في الشرق ، الذي يسعى كل فرد فيه لتحقيق مصالحه وغايته الشخصية، ولا يهمه الآخرين على عكس الإنسان الغربي الذي لا يهتم بالفروقات الفردية، ولا فرق بيت غني وفقير أو بين صاحب العمل والعامل، لذلك " فمنصور عبد السلام" بطل الرواية لما عمل في الجنوب خارج حدود الوطن؛ أي في الغرب مع بعثة للآثار تعرف على شخصيات غربية، وجمعته معهم علاقات مودة وصداقة و لم يشعر يوماً أنه عامل، لأن صاحب العمل لم يعامله بقسوة، إذ يقول: «فقد شعرت بالحزن من أجل مرزوق والجربوع ثم تذكرت الهزيمة، وسقطت الدموع من عينيَّ، لما رأى راؤول هكذا أبكي هجم عليّ واحتضنني بحنان كنت أحب راؤول كثيراً، وأنا الآن أحبه أكثر».[2]

كان فضاء الآخر فضاءً للعدل والحرية لأن الآخر كان أكثر عطفاً وحنانًا على " منصور" إذ أنه أحس بآلامه.

يطرح "عبد الرحمن منيف" فضاء الآخر كفضاء للعدل والحرية التي فقدها " منصور عبد السلام" في وطنه، لذلك نجده سافر إلى هذا الفضاء هروباً من فضاءه الذي ينتمي إليه، إذ نجد الرواية «رسمت بجرأة واضحة واقع القمع والتعسف لأن "منيف" رأى أن مسألة القمع والسجن أحد أبرز رموز الرواية، إذ أنه تطرق لها بكل تفصيل لأنه لا يمكن أن يقوم أو يبنى وطن بدون مواطنين، والمواطن ليس الانسان المستبعد

(1) عبد الرحمن أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي العربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، د ط، القاهرة 1999م، ص 1.

(2) عبد الرحمن منيف، الأشجار اغتيال مرزوق، ص 365.

أو ذلك الذي لا يمتلك شيئاً، بل إنه من يعترف به إنساناً أولاً ويعترف بكل حقوقه بعد ذلك». (1)

ب/ فضاء الآخر وحرية الرأي:

يطرح "عبد الرحمن منيف" فضاء الآخر بوصفه فضاءً لحرية الرأي، إذ أن "منصور" وجد فضاء الآخر، فضاءً أوسع يستطيع من خلاله طرح أفكاره بكل حرية عكس فضاء الوطن الذي ضاق عليه، وأضحى سجناً يقيّد ساكنيه، لأن «للإنسان دوره الخطير في تغيير بيئته» (2)، وذلك لأن المجتمع والسلطة قمعت "منصور" ولم تكن عادلة معه، تغير هذا الفضاء من وطن يحمل كل معاني الألفة، إلى سجنٍ يحمل كل معاني العداء والنفور.

" فمنصور" كان أستاذاً في مادة التاريخ في الجامعة وأراد التعبير عن رأيه بخصوص التاريخ وإعادة كتابته من جديد، لأنه اعتبر الجامعة فضاءً للحرية الرأي لكنه وجدها عكس ذلك، وأضحت سجناً يقيده ويمنعه من طرح أفكاره، ليسرح منها بعد ذلك، ويصبح مراقباً من قِبل المخابرات ، لأنه أعتُبر مجرماً خطيراً وكان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يدافع عن أفكاره، ويُصرِح بها، ولكن رأيه قمع، واضطهد "منصور" بسببه لذلك غادر الوطن بحثاً عن فضاء آخر، فضاءً يمنحه له الحرية التي فدقها، ليجد فضاء الآخر؛ أي الغرب فضاءً لحريته ولحرية رأيه؛ إذ أصبح فضاءً واسعاً لتأمل "منصور" ولطرح أرائه عن الوطن، إذ يقول له "راؤول" «اذهب أنت وشرقك إلى الجحيم

(1) ينظر، رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للنشر والتوزيع ط1، عمان، الأردن، 2003م، ص 152.

(2) عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية الانسان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، لبنان، 1980م ص 11.

أليس عندك سوى هذه القصص المملة تردّدها علينا دون تعب؟ السجن، التعذيب البطالة، الاضطهاد، لقد سمعنا هذه القصص في كل الليالي». [1]

"منصور" أصبح في فضاء الآخر يصرح بأفكاره وأراءه عن الوطن، وكيف الإنسان يجوع ويتعذب ويضطهد في وطنه، ففضاء الآخر أصبح فضاءً مفتوح يسترجع من خلاله فضاء الوطن، ويصرح برأيه دون خوف أو تعتيم من أحد، «لأن الوعي الذي يتميز به المثقف يجعل تفكيره خارجاً عن إطار ما هو متحقق بالفعل، بل إن المثقف كان في معظم العصور خارجاً عن إطار القيّم الشائعة، تطلعاً إلى عالم أفضل»[2] ولأن " منصور" أراد إحداث التغيير وإصلاح بعض المعتقدات الخاطئة بخصوص التاريخ، لذلك أراد إعادة كتابته من جديد، لكن رأيه قمع وصودر من قِبل السلطة.

"منصور عبد السلام" يوجد منه الكثير في الوطن العربي، الذين يعانون من قمع أراءهم وتهميشهم، فكان "منصور" خير مثال على ذلك، فأضحى فضاء الآخر بالنسبة له فضاء لحرية رأيه، إذ أنه أصبح يُصرح برأيه، ويحكي عن خبايا الوطن وعن مأساته وعن معاناة الانسان العربي، «لأنه في هذه الأرض التي يسميها وطنه رأى أشياء لم يكن يتصور أنها يمكن أن تقع، لقد جاع " منصور" وتغرب وتعب، وهو الآن يركض وراء لقمة الخبز». [3]

" فمنصور" من أجل ألا يموت جوعًا، ومن أجل عالمه الداخلي؛ أي أفكاره غادر وطنه وأرضه ليصبح فضاء الآخر فضاءً واسعاً بالنسبة " لمنصور" يمارس فيه كل حرياته وخصوصاً حرية أفكاره دون قيد أو سلطة من أحد، فأضحى فضاءً للتأمل

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص341.

(2) فؤاد زكريا، خطاب إلى العقل العربي، مكتبة الأسرة للنشر والتوزيع، د ط، القاهرة، 2010م، ص 20.

(3) عبد الرحمن منيف، الأشجار اغتيال مرزوق، ص 176.

والتفكير في الوطن؛ إذ أنه أصبح يحلم ببناء وطن جديد يقوم مقام وطنه، وطن خالي من القمع والاضطهاد.

" فمنصور" في فضاء الآخر أصبح يحكي عن وطنه لشخصيات غربية التي تعرف عليهم في مكان عمله، حيث عمل معهم كمترجم في بعثة كانت تنقب عن الآثار القديمة، إذ يقول " منصور" «يجب أن نتحول إلى علماء آثار، أن نقرأ الحجر (...)لأن الحجارة الميتة لا تنغص حياة أحد، (..) يمكن أن نكتب شيء عن التاريخ القديم، يمكن أن نكتب كل شيء يسمح به الأحياء الذين يحكمون، أمَّا أن نكتب عن الأحياء، أمَّا أن نقول للناس كيف يجب أن يكون التاريخ، فإن هذا سينغص حياة الديوك المنفوخة، سيغضبون وقد يصل بهم الأمر أن يلغوا نهائيا ما يسمَّى بالتاريخ».[1]

وجد " منصور" في الآثار مبتغاه لأنها تعبر عن التاريخ بكل صدق دون تزييف أو تلفيق من أحد، ومن خلال قراءته لألواح الطين يستطيع إعادة كتابة التاريخ، وبالتالي التعبير عن أفكاره التي قُمعت في فضائه، لذلك أضحى فضاء الآخر فضاءً لحرية "منصور"، إذ أنه يستطيع التعبير عن أفكاره وأراءه.

" منيف" يقدم فضاء الآخر في الرواية على أنه فضاء واسع ومفتوح تستطيع من خلاله الشخصيات ممارسة حرياتها التي فقدتها في وطنها، ونحن نعلم أن الإنسان لما يضيق عليه وطنه ويراه كسجن كبير يقيّده، يصبح يحلم بفضاءات أخرى تمنح له بعضاً من الحرية، وخاصة الانسان العربي الذي يرى فضاء الآخر فضاءً للحرية أو للفردوس المفقود الذي يبحث عنه الانسان العربي.

(1) عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، ص 293.

الخاتمة

لقد أفضت بنا الدراسة في هذا البحث إلى جملة من النتائج تتعلق بمجملها بماهية المكان والحرية، والعلاقة القائمة بينهما وكيف تم توظيفهما في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" وهذه النتائج نحصرها في مجموعة من النقاط بعد معالجتنا لموضوع المكان الروائي والحرية، وكذلك بعد قراءتنا لرواية الأشجار واغتيال مرزوق وهذه النتائج نجملها فيما يلي:

1/ أن المكان عنصر أساسي وجوهري في العمل الأدبي في الشعر وفي النثر لما له من أهمية كبيرة في تأطيره للأحداث، وكذلك لاحتوائه هذه الأحداث وكذا الشخصيات، إذ لا يمكن تصور أحداث أو شخصيات خارج إطاره.

2/ كذلك المكان بنية من البنيات المساهمة في بناء الرواية بشكل أساسي إذ يعتبر مُشَكِل من مُشَكِلاتها الأساسية ولا يستطيع هذا الفن تشيد عمارته بمعزل عن المكان، وهذا ما نلاحظه في "رواية الأشجار واغتيال مرزوق" لعبد الرحمن منيف إذ نجده عنصراً أساسياً مساهماً بحق في بلورة هذا العمل الروائي.

3/ كما تعد الانطلاقة الرئيسية لاكتشاف هذه البنية أي المكان الروائي ودراسته لمجهودات الغرب وخصوصاً الفرنسيون "كغاستون باشلار"، "ويوري لوتمان"...إلى غير ذلك، كما نجد العرب كانوا متأخرين بدراستهم للمكان الروائي مقارنةً بالغرب ويعد "غالب هلسا" أول من تطرق له بالدراسة استناداً إلى كتاب "غاستون بشلار" المعنون "بشعرية الفضاء" المكتوب بالفرنسية الذي ترجمه إلى العربية تحت عنوان "جماليات المكان" الذي كان الحافز لكثيرٍ من الباحثين العرب والغرب في هذا المجال.

4/ نجد كذلك موضوع الحرية من الموضوعات التي لآقت اهتماماً واضحاً من قبل الباحثين والدارسين لما لها من أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، إذ تعد غاية من الغايات المنشودة التي يطمح لها كل إنسان ، غير أن مدلولاتها تنوعت وكُلٌ كيف

نظر إليها فهناك من جعلها مرادفة للالتزام، وهناك من قابلها بالاعتراف بالحقوق الأساسية للفرد، وبعض الآخر يجعلها مرادفة للاستقلال والتحرر الذاتي من قيود الاستعمار...إلى غير ذلك من معاني الحرية التي لا حصر لها ، لأن هذا المصطلح ذا معاني كثيرة لا يمكن حصرها في مدلول واحد ،غير أنها تبقي بمفهومها الشامل هي أن يتصرف الإنسان طبقاً لمشيئته الخاصة ، ويكون قادراً على اختيار أفعاله في الفعل أو عدم الفعل .

5/ نجد كذلك أن تقسيمات المكان تنوعت واختلفت من باحث لأخر فكل باحث وتقسيماته، ولم يكن هذا حكراً على الغرب فقط بل كذلك عند العرب، إذ نجد تقسيماته تنوعت ولم تضبط وفق تقسيم واحد، لأن كل باحث وتخصصه لذلك نظر للمكان من زاويته الخاصة

6/ أما بالنسبة لرواية الأشجار واغتيال مرزوق وبعد استكناه الأمكنة وفق تقسيم "غاستون باشلار" المكان الأليف والمكان المعادي، وجدنا هذا الأخير هو المسيطر على جل الرواية، وهذا يعكس نظرة "عبد الرحمن منيف" للوطن العربي الذي يجعله كله سجون ومعتقلات أي فضاءات معادية تحد من حرية الإنسان وتقيده.

7/ كذلك كانت الأمكنة في رواية الأشجار اغتيال مرزوق متغيرة وغير ثابتة بالنسبة لشخصيات؛ أي المكان الأليف في الرواية يتحول إلى مكان معادي، أما الأمكنة المعادية التي تتحول إلى فضاءات أليفة فنجدها قليلة جداً في المدونة، وهذا يعكس نظرة الروائي "عبد الرحمن منيف" الذي يجعل من الأماكن الأليفة في الوطن العربي قليلة مقارنةً بالأماكن المعادية.

8/ كما وجدنا بعد قراءتنا العميقة لرواية الأشجار واغتيال مرزوق فضاءين مسيطرين على الرواية ألا وهما فضاء " الأنا" ونقصد به الوطن العربي الذي جعله

" منيف " فضاء للقمع والاضطهاد لذلك يطرحه كفضاء للاحرية، لأن الحرية مسلوبة من الإنسان العربي، لذلك نجد الرواية تصور هذا الفضاء ومعاناة الإنسان العربي فيه، الذي يجعله "منيف " محروماً من الحرية، أما فضاء الآخر؛ أي الغرب فيقدمه "منيف" كفضاء للحرية، لما يتوفر فيه من عدل وحرية في الرأي، فيطرحه " منيف " كنقيض لفضاء الوطن العربي

9/ رواية الأشجار واغتيال مرزوق تكشف عن العديد من الجوانب المغطاة في العالم العربي التي لا تطرح كثيراً كالقمع والاضطهاد ومصادرة الرأي والتسلط على الفقير .... إلى غير ذلك من القضايا التي تثيرها الرواية، فهي عمل رائع لروائي "عبد الرحمن منيف"، إذ نجدها تعكس ولحد كبير بعض الحقائق عن الوطن العربي ويمكن لهذه الرواية استيعاب الكثير من الدراسات ليس فقط المكان والحرية بل يمكن تناولها في دراسات أخرى.

الملاحق

عبد الرحمن منيف

أ/ حياته:

ولد عبد الرحمن منيف في العاصمة الأردنية "عمان" سنة 1933م، لأب ينحدر من نجد بالمملكة العربية السعودية، كان والده يعمل تاجراً متنقلا بين الجزيرة العربية وبلاد الشام، وأم عراقية من بغداد، ولم تلبث أسرته أن استقرت في الأردن بسبب وفاة الأب بعد ولادة " عبد الرحمن منيف" حيث عاش في عمان برعاية جدته العراقية، في حين تكفل إخوته بإعالة الأسرة وساروا على خطى أبيهم.

تلقى عبد الرحمن منيف تعليمه في عمان، حيث أنهى دراسته الثانوية بها، ثم انتقل إلى بغداد عام 1953م لدراسة الحقوق، ثم أُبعد عن العراق بعد عامين، بسبب أنشطته السياسية المناهضة لاتفاقية حلف بغداد عام 1955م، فتوجه إلى مصر، حيث أكمل دراسته في جامعة القاهرة، وتخرج منها عام 1957م.

وفي عام 1958 التحق بجامعة بلغراد بيوغسلافيا، حيث نال درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية سنة 1961م في اختصاص اقتصاديات النفط، ليعمل في بيروت ومنها انتقل إلى سوريا ليعمل في وزارة النفط على مدى عقد من الزمن (1964-1973) وأصدر في عام 1972م كتاباً في جزئيين بعنوان " مبدأ المشاركة وتأميم البترول العربي" ضمنّه رسالة حول مستقبل صناعة النفط.

وتجدر الإشارة إلى أن "عبد الرحمن منيف" انضم في مطلع حياته وهو في المرحلة الثانوية إلى حزب البعث العربي، وترسخ فيه بحكم ثقافته العالية، وأسهم في تنظيمه، وما لبث أن أتخذ منه موقفاً نقدياً انتهى به إلى الاستقالة من الحزب سنة 1962م، ولكنه ظل ينتقل بين العراق وسوريا، ففي عام 1975م استقر في العراق، وعمل في مكتب الشؤون الاقتصادية لمجلس قيادة الثورة، حتى عام 1981م، إذ غادر العراق

نهائيا مع اندلال الحرب العراقية الإيرانية إبان حكم صدام حسين، وهام في عدة بلدان عربية أهمها دمشق وبيروت وعمان.

توفي " عبد الرحمن منيف " يوم السبت في الرابع والعشرين من يناير " كانون الثاني" عام2004م ، بعد أن أتمّ عامه السبعين في منزله بدمشق، بعد صراع طويل مع مرض مزمن هو قصور الكلى، وخسر العالم العربي بوفاته روائيًا عربياً كبيراً أسهم في إنجاز مشروع روائي ضخم، ليس على المستوى العربي فقط ، بل على المستوى العالمي، فقدم خمس عشرة رواية بما فيها أعماله الملحمية " مدن الملح" و" أرض السواد" و" الأشجار واغتيال مرزوق" ، فضلاً عن تسعة كتب غير روائية انفتح فيها على الماضي والحاضر، وتمسك عل حد تعبير محمود درويش بحقوق الإنسان في زمن لا عدل فيه.

ب/ مؤلفاته

<u>أولاً:</u> مؤلفاته الروائية:

1.الأشجار واغتيال مرزوق [1973]:

صدرت هذه الرواية بعد هزيمة حزيران، وتصور قصة " منصور عبد السلام" أستاذ التاريخ الذي فقد عمله في الجامعة لأسباب سياسية، كما تصور قصة "إلياس نخلة" الرجل البسيط الذي يمتلك رؤية أسطورية للواقع، والذي تشرد منذ اللحظة التي قطعت فيها أشجار " الطيبة"، وبعد اغتيالهما في الحياة يلتقيان في إحدى عربات القطار وهو لقاء الماضي بالحاضر والأسطورة بالواقع، هذه الرواية التي تصور الاستبداد الشرقي.

2. قصة حب مجوسية [1974].

3. شرق المتوسط [1975].

4. النهايات [1978].

5.حين تركنا الجسر [1979].

6. سباق المسافات الطويلة [1979].

7. عالم بلا خرائط [1982].

8. مدن الملح: خمسة اجزاء

1/ التيه [1984].

2/ الأخدود [1985].

3/ تقاسيم الليل والنهار [1988].

4/المنبث [1988]

5/ بادية الظلمات [1988]

9. الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى (1991)

10.أرض السواد ثلاثية.

<u>ثانيا:</u> مؤلفات غير روائية:

1.الكاتب والمنفى وآفاق الرواية العربية.

2.سيرة المدينة –عمان في الأربعينيات.

3.الديمقراطية أولا–الديمقراطية دائما.

4.بين الثقافة والسياسة.

5.ذاكرة للمستقبل.

6.أسماء مستعارة (قصص قصيرة)

تلخيص الرواية:

تحكي الرواية عن شخصين التقيا في القطار، هما " إلياس نخلة" وهو مزارع بسيط أما الشخصية الثانية فهو "منصور عبد السلام" وهو بطل الرواية وهو إنسان مثقف وخريج جامعة ، جاءت الرواية على قسمين ، إذ نجد القسم الأول من الرواية يتطرق لحياة " إلياس نخلة" فهو مزارع بسيط أحب أشجاره إلى أقصى الحدود، وكان مولع بها، فكان في القطار يحكي لمنصور عن أشجاره وعن قريته " الطيبة " وعن كل تفاصيل حياته منذ بداية شغفه وحبه للأشجار إلى الانتهاء به كمهرب للملابس، كان "إلياس" مولع بالأشجار التي ورثها عن والده، إذ أنه كان دائم الاعتناء بها لأنها كانت تعني له الماضي والحاضر والمستقبل، وكان متعلق بها إلى أقصى الحدود، فكانت بمثابة الأم الحنون التي تمنح الدفء والحماية والحنان لصغارها، كانت هذه الأيام أسعد أيام "إلياس" لكنها لم تَدُم، ففي يوم من الأيام بدأ أهل قريته بقطع أشجارهم، واستبدالها بالقطن كان " إلياس" حزيناً على الأشجار وعلى قريته " الطيبة" التي بدأت تتغير شيئا فشيئا من أرض خضراء زاهية مغطاة بالأشجار إلى أرض جرداء يكسوها القطن فقط وبعدما قُطعت كل الأشجار ظلت فقط أشجار " إلياس"، فأراد أهل قريته أن يستبدل هو كذلك أشجاره ويغرس القطن مكانها، لكنه رفض ذلك ،وفي يوم من الأيام لعب مع أصدقائه في القمار، وكان طلبهم أن يقامر عن أشجاره، فقبل ذلك لأنه أراد أن يربح لكنه خسر والخسارة كانت أشجاره، ومن ذلك اليوم بدأت معاناة " إلياس" لأنه غادر قريته التي لم يعد يطيقها، وتوجه إلى الجبل ليمكث فيه مدة من الزمن، ثم بعد ذلك عاد إلى قريته "الطيبة" ليفتح فرناً ، لكنه لم ينجح لأن أهل قريته لم يشتروا منه، فغادر "الطيبة" لأنه لم يجد حلاً آخر، سوى الذهاب إلى المدينة، وهناك عمل " إلياس" عدة أعمال وكان ينتقل من عمل إلى آخر، فعمل في الحمام كوقاد، وعمل في المقهى إلى غير ذلك من الأعمال التي عملها " إلياس" في المدينة، لكنه تعذب كثيراً لذلك فهو لم يعد يحتمل البقاء في المدينة، فقرر البحث عن عمل آخر، فاشترى حماراً

وأطلق عليه اسم "سلطان" ليبدأ هو وحماره العمل وبيع الملابس، فكان ينتقل من قرية إلى أخرى، وفي إحدى القرى تعرف على "حنة" فتزوجها وعاش معها مدة من الزمن في بيتها، ثم عاد إلى "الطيبة" ليستقر بها هو وزوجته، وكانت أيام سعيدة في حياة " إلياس"، ولكن في يوم من الأيام وحين كانت "حنة" تضع مولودها توفيت ليعود "إلياس" إلى حياة المعاناة ، فيغادر قريته مجدداً والتي لم يعد يطيقها، ليتوجه إلى المدينة وهناك تشرَد وجاع وعانى وهو ينتقل من مكان إلى مكان بحثا عن عمل من أجل سد رمقه وتأمين لقمة العيش، فعمل في الدباغة واستأجرا بذلك غرفة من عجوز مسنة ليتعرف على امرأة تعمل في هذا النزل الصغير فتزوجها، لكن حياته كانت تعيسة لأنها دائما تشتمه، فلم يتحمل ذلك.

وفي يوم من الأيام لما عاد إلى البيت لم يجدها لأنها تركته، ثم تشاجر مع العجوز صاحبة الغرفة التي استأجرها، فطردته ليصبح " إلياس" مشرداً في شوارع المدينة مرة أخرى، فعاد مرة أخرى إلى قريبته الطيبة واشترى قطعة أرض وغرس فيها أشجاراً وعاد إلى سابق عهده مع أشجاره، لكن سعادته هذه كانت تنقصها زوجته " حنة" التي كان يتذكرها دائما، وفي يوم من الأيام قرر الزوج مرة أخرى بعد إلحاح عمته الشديد عليه، ليتزوج أدمة، لكن مهرها كان الأرض لتتقاسمها هي وأخوها، لتتحول ملكية "إلياس" من مالك للأرض إلى عامل فيها، فلم يتحمل " إلياس" ذلك، وترك الأرض والأشجار ليعمل في الفرن، وكان اسم صاحبه " المعلم صالح" كانت بداية عمله جيدة، لكن عندما فتح أخ زوجته فرناً آخر تغيرت معاملة صاحب الفرن وصارت معاملته قاسية ليترك " إلياس" الفرن ويصبح عاطلاً عن العمل وهو مسؤول عن زوجة وأولاد، ليقرر السفر خارج حدود الوطن، من أجل العمل وتأمين لقمة العيش لزوجته وأولاده ليعمل كمرهب للملابس.

أما القسم الثاني من الرواية فيحكي عن حياة " منصور عبد السلام" التي كانت حياته تشبه إلى حد بعيد حياة " إلياس" فكليهما تعرض للقمع والاضطهاد والتغرب عن الوطن، "منصور عبد السلام" إنسان مثقف أنهى دراسته الجامعية في أوروبا ليعود إلى وطنه ويصبح أستاذاً في الجامعة في مادة التاريخ، لكنه أراد تدريس التاريخ بشكله الصحيح دون أكاذيب، لأن التاريخ بالنسبة له أكذوبة كبيرة عمل الحكام على تزييفها وفق مصالحهم الخاصة، ولكن بسبب هذه الأفكار يُسرح من الجامعة ، ويُصبح مراقبا من قبل السلطة لأنها اعتبرته مجرماً خطيراً، لتبدأ رحلة "منصور" في المعاناة في الوطن؛ حيث أصبح بطالا، ومراقبا في كل حركة أو فعل يقوم به، كما حرم من أي عمل آخر سواء الأعمال الحكومية أو غير الحكومية، لتغلق جميع الأبواب في وجهه، ولم يجد "منصور" سوى حل واحد ووحيد، وهو البحث عن عمل خارج وطنه، فيرسل رسالة إلى " فرانسوا" يطلب منه العمل عنده، فيقبل طلبه ليعمل كمترجم في بعثة للآثار تبحث عن الألواح القديمة، ويتعرف هناك على شخصيات غربية فتجمعه معهم علاقات صداقة ومودة وتمضي الأيام حتى يسمع في يوم من الأيام بخبر وفاة صديقة " مرزوق" ،وهو أستاذ في مادة الجغرافيا الذي قتل، ولم يُعرف من هو القاتل، ولا سبب القتل، فيصبح "منصور" حزيناً و تعيساً، فيترك موقع العمل ويذهب إلى الفندق من أجل تدوين يومياته فيكتب عن "مرزوق" وعن الوطن، ولكن بمرور الأيام يصبح منصور مجنونا وينتهي به الأمر في مستشفى المجانين لتنشر مذكراته من قِبل صحفي

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم رواية حفص**

أولاً/المصادر:

1-عبد الرحمن منيف، الأشجار واغتيال مرزوق، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ط12، الدار البيضاء، المغرب ،2005م.

ثـــانياً/القواميس والمعاجم:

1-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج01(GA)، تر خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت، لبنان، 2001.

2-بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون ساحة رياض الصلح، د ط، بيروت، لبنان ،1998م.

3-الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي)، مختار الصحاح، تح أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، د ط، بيروت، لبنان، 2004م.

4-الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، أساس البلاغة، تح محمد باسل العيون السود، ج1، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان ،1998م.

5-صبحي حمودي، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، ط1 بيروت، لبنان ،2003 م.

6-مرتضي الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزّاق)، تاج العروس من جواهر القاموس تح على شبري، مج 18، باب النون (أ.ي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د ط، بيروت، لبنان، 1994م.

7-ابن منظور (العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي) لسان العرب، مج 04، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان ،1990م.

8-ابن منظور (العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي) لسان العرب ،مج13 ،دار صادر ،ط3، بيروت ، لبنان، 1994م.

ثـــالثاً /المراجع العربية:

1-أحمد زياد محبك، متعة الرواية دراسة نقدية منوعة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان ،2005م.

2-أحمد فضل شبلول، الحياة في الرواية قراءات في الرواية العربية والمترجمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د ط، الإسكندرية، مصر،2001م.

3-أحمد يوسف، علامات فارقة في الفلسفة واللغة والآداب، دار أمان للنشر والتوزيع ط1، الرباط، المغرب،2013م.

4-أمال منصور، بنية الخطاب الروائي في أدب محمد جبريل جدل الواقع والذات "النطر الى أسفل " نموذجًا، دار الإسلام للطباعة والنشر، د ط، القاهرة، مصر، 2006م.

5-إبراهيم أحمد ملحم، جماليات الأنا في الخطاب الشعري، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2014م.

6-احسان عبد القدوس، انا حرّة، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، ط2، القاهرة، مصر د ت.

7-ادريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، ط1، الرباط المغرب،2014م.

8-باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن ،2008م.

9-بان صلاح البنا، الفواعل السردية دراسات في روايات عبد الله سلامة، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن ،2009م.

10-حازم الببلاوي، في الحرية والمساوات، دار الشروق، ط1، القاهرة ،1985م.

11-حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي "قراءة موضوعاتية جمالية دراسة" ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 2011م.

12-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن- الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب ،2009م.

13-حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة ط1، العراق، بغداد،1987م.

14-حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب ،2000م.

15-حسين المناصرة، القصة القصيرة جدًا رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن ،2015م.

16-حلومة التجاني، البنية السردية في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرآني، دار مجدلاوي، ط1، عمان، الأردن ،2013م.

17-حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1991م.

18-حورية يونس الخطيب، الإسلام ومفهوم الحرية، دار الملتقى للطباعة والنشر ط1، ليماسول، قبرص،1993.

19-حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن ،2010م.

20-عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك دراسة مقارنة المكتب الجامعي الحديث، د ط، العراق ،2012م.

21-عبد الرحمن أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي العربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، د ط، 1999م.

22-عبد الرحمن منيف، سيرة مدينة عمان في الأربعينيات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان ،1994م.

23-رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2003م.

24-زكي نجيب محفوظ، عن الحرية أتحدث، دار الشروق، ط3، القاهرة ،1989م.

25-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الرباط، المغرب ،2012م.

26-سمير روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، د ط، دمشق ،2003م.

27-سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، دب، 1984م.

28-سيزا قاسم، القارئ والنص العلامة والدلالة، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، القاهرة 2002م.

29-سيزا قاسم، يوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، ط2، الدار البيضاء، المغرب،1988م.

30-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1994م.

31-الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن ،2010م.

32-الشريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن،2010م.

33-شريف الشافعي، نجيب محفوظ المكان الشعبي في رواياته بين الواقع والإبداع الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، مصر، 2006م.

34-شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة دراسة في آليات السرد قراءات نصية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن ،2014.

35-صالح إبراهيم، أزمة الحضارة العربية في أدب الحضارة العربية في أدب عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب ،2004م.

36-صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ط1، عين مليلة، الجزائر، 2003م.

37-صالح ولعة، عبد الرحمن منيف الرؤية والأداة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط1، إربد، الأردن، 2009م.

38-صبحي الطعان، عالم عبد الرحمن منيف الروائي، دار كنعان للدراسات والنشر ط1، د ب، 1995م.

39-عادل فريجات، الخطاب وتقنيات السرد في النص الروائي السوري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2009م.

40-عدالة أحمد إبراهيم، الجديد في السرد العربي المعاصر، دار الثقافة والإعلام ط1، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2006م.

41-على القاسمي، النور والعتمة إشكالية الحرية في الأدب العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2009م.

42-عمر عيلان، في منهاج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب د ط، دمشق، 2008م.

43-عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية الإنسان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر د ط، بيروت، لبنان، 1980م.

44-فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، الانتشار العربي للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2008م.

45-فؤاد زكريا، خطاب العقل إلى العقل العربي، مكتبة الأسرة للنشر والتوزيع د ط، القاهرة، 2010م.

46-فوزية لعيوس غازي الجابري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2011م.

47-فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية "دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2009م.

48-عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية «زقاق المدق» ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1997م.

49-عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1998م.

50-مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر والتوزيع، ط1، تونس 2010م.

51-محمد التوفيق الضوي، في فلسفة برادلي مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة "دراسة في ميتافيزيقا برادلي"، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية مصر، 2003م.

52-محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنبيل سليمان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد الأردن، 2012م.

53-محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، المتخيل الروائي سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا (دراسة في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط1، إربد، الأردن، 2005م.

54-محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع ط1، تونس، 1978م.

55-محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان) دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، دمشق، 1996م.

56-محمد عويد محمد ساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012م.

57-محمود أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الرواية الليبية أنموذجاً دراسة في النقد الثقافي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2010م.

58-مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار التكوين، ط3، دمشق 2009م.

59-مسعد بن عبد العطوي، السرد فكراً وبناءاً، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط1، إربد، الأردن، 2014م.

60-منصور نعمان نجم الدليمي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 1999م.

61-نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات المكتب الجامعي الحديث، د ط، الإسكندرية، مصر، 2012م.

62-هيثم سرحان، الأنظمة السيميائية دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2008م.

63-وليد شاكر نعسان، المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق،2014م.

64-ياسين النصير، الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نيوني للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، سوريا، دمشق، 2010م.

رابـــــعاً/ المراجع المترجمة:

1-أرسطو، فن الشعر، تر إبراهيم حماره، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، مصر 2002م.

2-جوزيف -إ- كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، تر لحسن احمامة، أفريقيا، الشرق د ط، بيروت، لبنان، 2003م.

3-جينيت، كولدنستين وآخرون، الفضاء الروائي، تر عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق د ط، بيروت، لبنان، 2002م.

4-دان براون، الجحيم، تر زينة إدريس، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت لبنان، 2013م.

5-سيغموند فرويد، الحلم وتأويله، تر جورج طرابيلشي، دار الطليعة للطباعة والنشر ط4، بيروت، لبنان، 1982م.

6-غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

7-فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1996م.

8-فليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، تر عبد الهادي عباس، دار دمشق ط1، سوريا، دمشق، 1998م.

9-كارل بوبر، في الحرية والديمقراطية، تر عقيل يوسف عيدان، مركز الحوار للثقافة (تنوير)، ط1، الكويت، 2009م.

خـــامساً / المجلات:

1-كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح" الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد4، 2005م.

2-عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد27 جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، العدد1، 2005م.

3-نصيرة زوزو، بناء المكان المفتوح في رواية "طوق الياسمين " لوسيني الأعرج، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والآداب الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر العدد8 ،2012م.

سـادساً /الرسائل الجامعية:

1-بولعسل كمال، سيميائية في رحلة أبي حامد الغرناطي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير شعبة السرد العربي القديم تحت إشراف الدكتور يوسف وغليسي، جامعة منتوري، قسنطينة 2005،2006م.

الفهرس

الفهرس

مـقـدمـــة .... أ
الفصل الأول: المكان والحرية (دراسة في المفهوم والأنواع) 5
أولاً: المكان والحرية (المفهوم) 6
1/مفهوم المكان: 6
أ–لغة: 6
ب–اصطلاحاً: 7
2/ مفهوم الحرية:... 12
أ–لغة: 12
ب–اصطلاحاً 13
ثانيا: المكان الروائي وأنواعه: 16
1/ عند الغرب:.. 18
أ_ " غاستون باشلار" (Gaston Bachelard):........................... 18
ب _ " أبراهام–أ–مول وإليزابيث رومر" (Elizabeth) (Abraham–A–Mall)
Romer) : 20
ج _ " يوري لوتمان "(Yuri Autaman) 21
د_ " فلاديمير بروب" (Vladimir Propp): 22
هـ _ " برادلي" (Bradley): 23
2/ عند العرب:... 27
أ_ "غالب هلسا ": 29
ب _ "حميد لحميداني": 30
ج _ " ياسين النصير": 33
د _ "حسن بحراوي": 34
هـ _ "عبد المالك مرتاض": 36
و _ " سيزا قاسم": 38
ز_ " شجاع العاني": 39

الفصل الثاني: المكان والحرية في رواية " الأشجار واغتيال مرزوق" 42
أولاً: أنواع الأمكنة في الرواية: 43
1/ المكان الأليف:.....43
أ-القرية: 43
ب-الجبل: 47
ج-المغارة: 50
د-القطار:.....52
هـ-القبر: 53
2/المكان المعادي: 54
أ-الوطن/البلدة:.....54
ب-المدينة: 58
ج-الحمام: 60
د-المقهى: 61
هـ-السجن:.....62
و-الفرن:.....64
ز-الفندق:.....65
ح-الجامعة:.....66
ط-جنوب التل الكبير:.....68
ثانيا: الحرية والمكان في الرواية:.....71
1/فضاء الأنا واللاحرية:.....71
أ-فضاء السلطة واللاحرية: 72
ب-فضاء القمع ومصادرة الرأي:.....76
ج-فضاء الحلم والتخيل:.....82
2/ فضاء الآخر والحرية 85
أ/ فضاء العدل والحرية: 87
ب/ فضاء الآخر وحرية الرأي:.....92

الخاتمة 95
الملاحق 99
قائمة المصادر والمراجع..... 106